رسائل الموتى

رسائل الموتى

عودة جبران خليل جبران

سامي كامل أبو دقة

/رسائل الموتى/

إعداد: سامي كامل أبو دقة

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧.

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: بشار الحلبي

تصميم الغلاف: فيصل الحفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

نبذة عن المحتوى

جبران خليل جبران ١٨٨٣ ـ ١٩٣١

طوى هذا العبقري في خلال عمر واحد... أعمار أجيال سبقته وأخرى رافقته... وتالية تأتي بعده .. فقد استطاع أن يسبر الأغوار ويجوب الأعالي .... فقد ذهب في سياحات بعيدة في دنيا التأمل والتبحر والخيال.... وقد تحدث عن سياحاته تلك بريشة بليغة ومليئة بالإحساس. فقد رسم الكثير وألَّف الكثير..

لكنه ارتحل عن هذه الفانية وفي ريشته خطوط وألوان لم تنسجم في رسوم.. وبين شقي قلمه أنغام.. وأفكار لم تُنْظم في مقاطع..

ثمانية وأربعون عاماً... أولها في بشرّي... لبنان.. وآخرها في نيويورك تلك هي الفسحة التي أتاحتها الأقدار لجبران. ليقول فيها كلمته ولعله قد اغترف من الجبل والبحر والنهر والإنسان. وحتى من أشجار الصنوبر، سحراً خلاباً وصورة مشعة من البساطة في العيش وما سواه من النية الصافية والصدق في التعامل والحياة المشتركة وبلوغه الروحي إلى صميم المحبة كافة.

ومن كل تلك الصورة المشعة في وطنه الأم....وقبل أن يُهجَّر إلى بوسطن وقبل عودته في شبابه إلى مدرسة الحكمة البيروتية بين ١٨٩٦ـ ١٩٠١ اغترف ما يكفيه مؤونة العمر... ثم راح ينثر بريشته وقلمه كل ما اغترف من ذلك الجمال وينثره بلباقة الفنان الأمين لفنه وسخاء الشاعر

المثقل بالشعور ويتجسد هذا بكل ما ألّف من (الموسيقى) وحتى في آخرها (التائه) والذي نُشر بعد موته.

وهذا الكتاب وبكل ما فيه يروي قصة مستوحاة من الأفكار والتأملات التوحيدية التي تغنى بها جبران طوال حياته. وبالرغم من أنه مسيحي الطائفة فقد وجد حقيقته في المعتقد التوحيدي وفي عقيدة التقمص؟

لقد أفنى نفسه في محاولة شاقة لإثبات جوهر هذه العقيدة أمام من لا يعتقد...؟

حتى بلغ به الأمر أن يَعِدَ كل من عارضه بأنه سيعود إليهم متقمصاً..!

وهنا يأتي المعين الأول أو النواة لفكرة هذا الكتاب.

وأما ما يدور فيه من أحداث فهي ضمن نقاط محدودة.

١ـ مات جبران وفي خلده الكثير وأهم شيء .... ذلك الكتاب الذي فكر فيه ولم يكتبه وكان قد أسماه... "موت النبي". ليبين فيه علاقة الإنسان بخالقه وبذلك يتمم الحلقة من كتاب النبي الذي بيّن فيه علاقة الإنسان بالإنسان وتلاه كتاب "حديقة النبي" وقد بين فيه علاقة الإنسان بالطبيعة من حوله لكن الموت حال بينه وبين كتابه "موت النبي"... فقد عاد كما وعد ليتمم هذه الحلقة العجيبة!!.

٢ـ خلق أو تصور علاقة روحية صامتة بينه وبين الكاتبة السورية مي زيادة.. وقد استوحيت هذه الفكرة من خلال كتاب مي وجبران للكاتب جميل جبر..

٣ـ هذا الكتاب هو تأكيد على صدق في عقيدة التقمص.. والتي بات يؤمن بهذه المصداقية نحو ٧٥٪ من سكان الأرض وعلى اختلاف معتقداتهم.

٤ـ يأتي هذا الكتاب كصفعة متأخرة لبعض الذين اغتابوا جبران بعد موته ولأولئك الذين جعلوا منه درجة في سلّم الارتقاء نحو الشهرة فأشاروا إليه وهم في سرهم له تابعون.

آملاً بأني قد أعطيت ما لله... لله .. وما لقيصر لقيصر..؟

ملاحظة صغيرة جداً ......

قد جاء في هذا الكتاب مفردات وكلمات خاصة لجبران وهو الشهير بها والغاية إدخال روح جبران إلى هذا النص المتواضع أمام ما يملك المالك وأيضاً بعض العبارات من المقدمة في مجموعة جبران العربية ومنها جاءت البداية فقط من نبذة عن المحتوى والذي أجاز لنا بمحطات سريعة وصغيرة عن حياة جبران العظيمة والكبيرة.

يتبع قصتنا هذه وضمن الكتاب نفسه قسماً آخراً سميناه "لؤلؤ في أصداف" وهو مهدى إلى روح جبران خليل جبران مستوح أيضاً من تجارب عملية.. في انخراط قسري... ربما.. داخل عدة مجتمعات ومن مختلف الطبقات والطوائف.. آملاً أن ينال من قارئيه.. ولو قليلاً من الاستحسان.

لبنان ـ رأس المتن

٤/ ١/ ٢٠٠٤

الإهداء.......

*إلى أصحاب تلك الأجزاء المتناثرة التي اجتمعت .. لتشكل روحاً متكلمة لجسدي إلى كل الأجيال السابقة والآنيَّة.. والآتية.

*إلى الأرواح الخالدة..العائدة..المستنيرة..الجائعة والطافحة.

*إلى الطبيعة والعناصر والفصول.. الليل والنهار والبحر والساقية.

*القمر والنجوم والنور والنار.... الضعيف والجبار..الرئبال والصعلوك والخاطئ..والبريء..

*إلى كل الناس على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم ـ وكل من يوحد الله بصدق.

*إلى المعطي والآخذ والمجزي والمعاقب.. المحب والكاره.. الباني والهادم..

*القارئ والجاهل...الحامد والجاحد.. ولأي شروق ولكل غروب ولعطور الأزهار والبخور. ورائحة القبور وعبق الصدور..لمن ينام في كوخ ومن ينام في قصر الحييّ والفاجر.. الأبرص والصحيح.. والساحر المشعوذ..والفلكي..

*للـــنبي المنقـــذ..الجـــائع والممتلـــئ الرصـــين الحـــصين.. والسموح واللئيم..

*الجمـــر والرمـــاد... البخيـــل والكـــريم...الهـــادئ والمظـــل والناقدين والمشجعين..

*المتملقين.. والمصدّقين والمكذّبين.. المؤمنين والكافرين..

*إلى الـــصارخين والـــصادقين الـــصامتين..المهـــاجرين والعائدين.. كل الصغار والكبار الحكماء والمراهقين.

*إلى كل الآلهة... قبلي وبعدي.. الموسر والمتسول

*إلى كل الأشياء والموجودات الحية الزائلة والجامدة..الباقية

*إلى الكمال ومن يدَّعيه.. إلى العميان والمقعدين..

*مبتوري الأيدي والأرجل وكل المحرومين.

*إلى العائدين.. والمعرجين..والمتقمصين.. وكل من يحمل عصاً وينفخ في ناي ويضرب على وتر.........

.......إلى كل من يهمه الأمر.......

أما بعد........

ـ كما وعدت فقد عدت ... عدت بالبشائر، الرسائل .. كما وعدت فاستبشروا .. عدت يا مي وما قلت لغيرك....

أتيت والأنا الكليَّة تملأ فمي ونفسي... نفسي المسكينة.. حبستها عن العودة لأراكم ـ أصدقائي كيف تتفرقوا.. وتتمزقوا.

عدت ومعي الكتاب الأخير.. لبداية جديدة. لا محدود فيها منال ولا تقف عندها تحقيق الآمال ... لا تعجبي يا أغلى مي فقد عدت..؟

نفسي مرهقة متعبة .. كانت تجول في الفضاء... وبينكم.. ترنو إليك فقط إليك.. يا لحني المؤنس ... الصداح.

رأيت نفوساً تعلو وتخفض .. تمر بي .. تسألني الرفقة لكني آنيت أن أعود.. قبل أن يُخلق لي جسداً ... وحدي انتقيه... وحدي اصطفيه.

أجعله بيتاً لجنوني... لتمردي على الأرض والبشرية...!

عدت رغماً عنهم... متُ ... وعدْتُ ..... وماتوا وعادوا... لكنهم نسَّوا أو تناسَّوا من كانوا....

وقبل أن يموتوا قلّدوني ... حتى شبعوا وكرهوني.. وبنيرانهم بعد موتي فقط بعد موتي .. أحرقوني...؟

لم يؤمنوا بمزاعمي... لم يؤمنوا بخرافتي... لم يفهموني يوماً... لذلك عدت يا مي لجبر القلوب وتآلفها... ولأصرخ بلسان جراحكم الخرساء...

بحقيقتي الأزلية.... بروح لا متناهية.. شاسعة كالمدى.. بنشوتها السماوية تتغنى بالحب وتناجي داخلكم... أطفال الآلهة..!

أشيد لكم في نفسي عالماً... أتنفس لتستمر حياتكم.. وينبض قلبكم.. لتسير الدماء فيَّ.

أدخلوا أرواحكم في جسدي وغذُّوا لحومي بأحلامكم.. البسيطة.. الفطرية..

أسكتوا أوجاعي بآهاتكم... فأقصى درجات المحبة.. أن تحتضن أجفاني بريق ودموع من لهاث عيونكم..

وأُصيّر لكم دموعي خمراً طاهراً.. كالنيل أو الفرات... وأشبع حقكم في الحياة بمعرفة للنهاية الحقة... علَّكم تبدلون الضعف بالقوة.

ـ عدت بواقع وحقيقة مجربة.. أروي اصفرار شحوبكم... بحمرة حقيقتي الواقعة.

أكوابي بالصدق طافحة... فاشربوا.. واشربوا بمراشف أرواحكم..

واعلموا أقباس الحقيقة.. ففي كل رشفة بيان طارئ من الفكر... ليشبع القلب منكم فيّ.

وأنثر نتفاً من قلبي لكم على الورق... أخلق لكم جوهراً مطلقاً.. من تنهداتي الوحدوية بلغتي أنا... ولغتي ليست كأيٍّ من اللغات..

أقولها بلسان الحكمة الصامت.. وليس بكياني الفاني..

أمدّ نحوكم أعناق أزهاري... نحنو عليكم أفناد أغصاني.. لعلِّي أحرك فيكم الساكن الجامد.. أفتّته.. أحوله رماد نتيمَمُ به قبل الصلاة للّه الواحد... القوة المعبودة فينا نحن آلهة القمطْ...؟

وبإيعاز منه أكمل ما بدأت ... وأحيي فيكم ذكرى لأخي... المسجون في معاقل النسيان على الصليب ... الناظر من فوق السماء... الساكن رغم الألم.. الهادئ رغم الثورة .. المنتصر رغم الموت..

المنعتق رغم الحضور..

لكم منه البشائر بالملكوت الذي وعد... ومن دمي المعتق لكم على الورق موسيقى توصلكم بالوسائل . فاسمعوني بأذن قلبكم... وانظروني بعين أنفسكم.. لتأخذوا .. لتنهلوا بدعة التأملات ودقة في التصورات.. فصوتي صُوْرُ الغد.. ألبسكم به حللاً ليوم العيد.. كلها إيمان بتوحيد الديان فتغدون أمامه... أمةً كالبنيان..

والفضل.. كل الفضل للحكمة.. وليس لي الآن أو لسابقي جبران.. ؟..!!

ـ عدت يا مي ... ومعي النور المقدس مداداً..وناي التوبة. اسمعي لحنها اليوم مني .. فقد عدت من أجلك.... ولا شأن لأحد بعودتي... حتى أنت ما فهمتني... آه... آه منك.

أحببتك يا مي ولم تسمعي.. لم تصدقي للحظة ضبابية جنوني وخفت وحدتي وانفرادي ووحشتي .. وحتى جوعي وعطشي ومصيبتي أنهم أركان حقيقتي.

تمنيك مثلي... ضباب آخر... ونخيم على الجبال وفي الأودية..

بين الأشجار وفوقها.. تغمر الصخور المتعالية.. ثم ندخل معاً إلى قلوب المخلوقات وخلاياها.. لنصل لتلك الأماكن البعيدة... المنيعة غير المعروفة.. ولعلك اليوم برغم الفراق الطويل ... تأذنين لي بأن أتلوا أمام عشتاروت معابدك.. ما رأيت برحلتي المضنية.. وبلحظات أغمضت عنكم فيها جفوني.. عليّ أن أنصف نفسي ممن كرهوني.. وأنا أحبهم.. وأنا يا مي.. أجلهم.. فمن البداية أبدأ..

ـ قبل أن تخرج لؤلؤتي من صدفتها.. استذكرت كما الغريق سني عمري بلحظات قليلة متقطعة.

رأيت روحي منتفخة.. متخمة من جولاتها وأحاديثها.. من تقلباتها الوردية.. رأيت أفكاري المطوية تتراكض في خزائني الكبيرة..

ينكس رأسها العويل فتان .. ويصدر منها داخلي لأول مرة..

صوت الضجيج ... وشكله..؟

رأيت النبي في المساء الكئيب ... يتمشى في حديقته..

ويكتب على طود قلبي ... موت النبي .. ومن دمائي يرتوي ليبقى؟؟؟

حاولت أن أقرأ ما كتب بعمياء عيوني.. لكن أجفاني تراخت.. وباتت مثل لساني .. نائمة النوم الأخير.....

رأيت نفسي بين الأطفال ..... نتراكض حول المنازل .....

نلعب الغميضة ..... ثم يلفنا المساء ..... حول المدفأة الصدئة ......؟

وبين الشباب اليافعين ..... في المدرسة ..... على المقاعد الأثرية .....

والسبورة الخضراء ..... فتغشي عيني في نفسي ..... دمعة ساخنة.

تنساب على الخد الندي المتجعد .....

وأطير بالرؤية إلى مرحلة الرجولة ..... رأيت شخصاً لا يشبهني الآن إلا القليل ..... يحمل المحبة زاده ..... والمعرفة صديقة ..... والحكمة ثروته والصمت والسكون صنعته .....

تتبعه الأنفاس والتنهدات ..... وحنين خرج من قلوب الأرواح .....

ينشد اليوم نشيد الوداع... ليخفي بإنشاده صدى الانسحاق والانعتاق الكلي ..... صدى الأبواب والنوافذ... صدى البرد في الأزقة والكهوف.....

فشعرت أنني قد بلغت قمة الجبل ـ فسبحت روحي في فضاء الحرية وبدأت أبعد وأبعد يا بني أمي .....

فانحجبت عن بصري جبهات الطلول وراء الضباب ..... وغمرت خلايا الأودية ببحر السكون ..... وأمحت السبل والممرات بأكف النسيان وتورات المروج والغابات والنايات... والعقبات.

وراء أشباح بيضاء كغيوم الربيع.... صفراء كشعاع الشمس ..... حمراء كوشاح المساء قد تضعضعت أغاني البحار واضمحلت ترنيمة السواقي في الحقول وسكنت الأصوات المتصاعدة من جوانب الاجتماع.

فلم أعد أسمع سوى أنشودة الخلود متآلفة مع ميول الروح .....

وبدأت أشعة قوية تدعوني للمغامرة ..... تدعوني للتجربة .....

لم أعد أرى تلك الشموع التي كانت بجانبي.... لكن لا زلت أشتم رائحة العطور... والبخور .....

وبدأت بقراءة ميثاقي من الحكمة الشريفة ..... وقرأت ما كتبتْ يد الموت على جبيني ..... نظرت إلى خارج ما يستطيع أبناء أمي النظر .....

فرأيت عروسة الموت... عمود النور تنتصب.... تختال بين الأحياء.... وفيها أكثر مما فيهم من لغة الحياة ومعناها..

وبقيت أذناي تسمعان صدى بكاء ونحيب وقبل بزوغ الشمس

مدت يدها عروستي... وأخذت بيدي... فقوي النحيب وبات صراخاً

أخذ يتضاءل كلما رفرفت عروستي بجناحيها.

لكن الذي يبكونه وينوحون عليه ..... صار بعيداً .....

بعيداً عن هذا العالم .....

ـ وبعد أن اجتزنا إلى ظهر السماء... وبت كطفل في رحمها.... أحسست بالأثقال يا مي كيف تزول.... أدركت من أي شعور تأتي الطيور الملائكة بالسلام.... وتنشر المحبة بجناحيها.... ولماذا تشفق على البشر...

وجدت في استقبالي كل الآلهة .....

فينوس وجمالها الأبدي.. أورفيوس ونبتون البحار كلها... وابن سينا

وابن الغارض عَمْرو.... ميلبومين الرواية الحزينة... وأوتربي العروس... وابن رشد وأوديسيوس وعشتاروت... والهمذاني ولبيد وعلقمة.... هوميروس وفرجيل أدانوا الشعر... والمهلهل والمتنبي... الأخطل ودانتي وأفروديت اليونان والفينيق بيُرون وهيكو... مينرفا وأبسس وجرير وامرؤ القيس ونزار زماننا هذا...؟؟!!....

وكل من نصبهم البشر آلهة في خضمّ معتقداتهم الكثيرة وبعدها.

لا أدري كيف غبت عن كل ما حولي.... ولم استفق إلا أمام نور قوي.

* *　　* *　　* *　　* *

حاولت بنعاس عيوني... استجلاء معالمه.... لكنه نور ينبعث في كل الاتجاهات ولا تحديد له.... فهو ليس ضمن إطار أو محيط... فكل بصيص منه رأيته.

ألف نواة.... تحتضن ألف ألف نواة.... فركعت على أرض.... استشعرت بها وكأنها مغطاة بالماء الفاتر.... وأدركت أن ركبتيَ لم تخترقا سطح الماء .....

فتلمسته بأناملي التي لم أكن أراها... لكني أستخدمها.... فإذا .....

هو أملس كالبلور.. فنظرت حولي... رأيت الملائكة والرسل المجنحة ترقص وتهلل فرددت مع القائل... أن المأتم على الأرض... عرس في السماء...

ولاحظت أنهم لا يقوون على النظر إلى ذلك النور ..... فحنيت رأسي خجلاً من شيء... لا أعرف له سبب... وبداخلي لا أريد الانصراف.... ولا أقوى على الكلام.... فأتت الرياح.... ورفعت رأسي وقالت....

أن من يكون في ملكوت الله.... يبقى رأسه عالياً .....!

فرجف كيان نفسي الهوائي... واستصغرت ذاتي.... وتهيبت للمكان الذي أقبع فيه... وكانت تلك الدقائق أمام ذلك النور الساطع أثمن من حبات الماس وأغلى من تيجان الملوك .....؟ ولكن.

ومن أغرب ما رأيت أنني وكلما فكرت بشيء.... كنت أراه يمثل أمام عيني

كالسراب ..... ولعلي لم أجرؤ على لمس أو مخاطبة أي من أي شيء

واسترجعت من ذاكرتي ..... ما كنت أسمع في الأرض ..... عن العالم الماورائي لكن هنا ..... في سماء الرب الواسعة ..... أين ..... أين عساه يكون هذا العالم...

العالم الآخر ..... للملائكة والآلهة وكل الأرواح .....

لعله موجود بتعايش أقل من المناصفة مع الوجود الفعلي لعالم الحقيقة

وأظنه السبب الوحيد لرؤية أحلام اليقظة أو الأفكار مجسمة أمام الجميع.

وأيضاً .....

كنت بكياني الهوائي إذا ما سرت ..... لا أسمع وقعاً لخطواتي

وإذا وقفتُ أمام المرآة ..... وجدتها سديماً صامتاً ..... فارغاً .....

وإذا نظرت لوجهي على سطح الماء... انعكس لي صورة للا شيء... كلاشيء

الذي كان موجوداً ..... قبل وجود المجرات والنجوم .....

ووقفت في ساعة الظهر ..... لتقبّل الشمس جبيني ..... لكن أنوارها اجتازتني ..... ولم أشعر بها ..... فسرت ونظرت بجانبي فلم أرَ تلك الظلال التي كانت تشقى باتّباعها لي .....؟

وهذا البسيط من الأمور التي كانت تميزني وإخوتي فوق الغيوم عنكم يا معشر المخلوقات فوق أديم الأرض وترابها.... والذي زعمتم أنكم منه... وإليه إن الإنسان عندما يموت لا يتحلل ويصبح تراباً كما نعتقد...

إن العظام فقط تتحلل وتتحول إلى غبار دقيق يخالط التراب .....

وأما عن لحومنا وأدراننا.. فإن الله قد كتب حياة قصيرة للملايين من الكائنات الصغيرة جداً... تعيش وتأكل من هذه الجثث.. ومدة عمر هذه الكائنات مرهون بحجم الجثة.. وعندما تموت هذه الكائنات... تتحول بدورها إلى غبار دقيق يخالط التراب... وأما عنا فتخاله بالتراب ..!!

وبكوننا ورثنا عن أبناء مجرتنا الراحلين... أن لا نرى سوى الأشياء التي تمثُل بمادتها أمامنا... فيا لسخفنا... لو اختفت كل المواد

من عين الوجود مثل.... نور الشمعة... إلى لا مكان.... فماذا عسانا..... فماذا عسانا نفعل....؟

لا أعلم.... كيف علمت ولا أذكر اليوم من أخبرني... كيف يعلم إله الآلهة عما في دخائلنا المطوية .....

إنهـا الـريح يـا مـي ..... نحـن البـشر ندخلـها إلى صـدورنا ..... فتخـرج بالزفير محملة بما تكنه ضمائرنا وبصورة ملموسة .....

كـم نحـن بسطاء.... وضعفاء ..... في تقـصي الحقـائق ..... الـتي تمثـل أمـام أعيننـا ولا نراهـا..... إن الريـاح هـي مـن فكـر الله الـذي يـرى بـه أجسادنا وأعماق أعماق نفوسنا .....

وأقف يا مي للحظة عن النزف والكتابة.. وحجبت بيدي غطاء وجهي وبكيت قليلاً.. وكأن نفسي أبت أن تسلّم أسرارها... للحبر والورق ..؟!

لأن الحقائق العظيمة الفائقة.... لا تنتقل من بشري إلى آخر بواسطة الكلام البشري المتعارف.... فقد تختار السكينة والصمت سبيلاً.

بين النفوس المتحدة ..... وهنا .....

هنا في سمائنا.... لا حركة عشوائية ..... ولا ضجة أو ثرثرة .....

وحده الصمت يسير بكل سكون.... يجر عربته إلى ما تسمونه أنتم المستحيل ..... فتردد روحي لروحي ..... بسكينة وهدوء .....

إن الله روح معنوية ..... تسامت عن سجن المادة ..... لاستحالة انعتاقها هو الحقيقة المنطقية الفاعلة ..... في إرادة تسيير الكون.

والعقل المدرك ..... في الماضي والحاضر والمستقبل ..... للبداية والنهاية فترفّع عن كل ما تحتويه الكلمات من وصف ..... لانقطاع التعددية .....

يأبى التشبيه لعدم توافره لدى المخيلة الضيقة .....

إنه العلاقة الرابطة بكل ما يحويه الكون من قيم ..... فهو الإلفة والحق.. والنور والمحبة الكلية... إنه إله كل الآلهة...؟...؟؟...!!

ـ وما برحت أتكلم ..... حتى أتت الرياح وحملتني من حضرته المهيبة إلى أخواتي النفوس المنعتقة من أجساد البشر .....

فوجدت أمي الغالية... تلك الحنون... مع أختي وأبي... وبعض الأجداد مِمَن أعرف ومِمَن لا أعرف... وكلهم ملائكة مجنحون مثل عروسي....

وبعد برهة... أتى أخي في المحبة... وجلسنا على غيمات نتعاتب

وتصفي في العتاب النفوس وتتحد.... وقال لي:

إنني همت لسنين بين الأرض والسماء.. تائه كمجنون في صحراء حيرتي المبهمة... ولا يعلم غير اللّه عما كانت روحي تبحث... قبل وصولها إلى السماء ..... وقال أيضاً .....

لقد تركتَ إرثاً للبشر الضعفاء والأقوياء ..... مثل إنجيلي الذي نسوه

لكنَ إرثك لن يمحوه ..... بل سيزيدون عليه ..... ويتبعونه ؟؟

وبدأنا يا مي نراقب عالمكم الدنيوي وفي ترقبي ..... يجالسني حبك خلسة في العلاء بسطوة ..... بنشوة ..... بفرح جداً حزين .....

كنت أرى بوضوح كيف يتتالى عليك الليل والنهار.... وكيف تمر بك الأيام...

الثواني.... إن اليوم السماوي يا مي يعادل جيلاً كاملاً

لأحد أبناء البشر ..... لذلك .....

كنتِ أمامي تتغيرين بسرعة هائلة ولكن نفسك بقيت فيك

الروح الطفلة وذاك ما أشعل حنيني وجعلني أبدأ بالبحث عن جسد أصطفيه لأعود ثانية وأكمل مشواري الطويل .....

* *　　* *　　* *　　* *

رأيت طفلاً في رحم أمه... قوي البنية.... جميل الوجه كدمى الأطفال فهببت أناجي ربي في خشوع وتوسل .....

ربي... نفسي اليوم تعانق نورك في يقظة الأبدية .....

نفسي تحت عرشك تتوجل بعمق كسير.. ولا حاجة لي إلا للصلاة لك..

ربي يا إله الصديقين والمؤمنين .....

كتبت لهذا الطفل الحياة ..... فاجعل روحي لجسده مسيرة .....

وعاقلتي فيه مدبرة ..... وتواضع حكمتي في قلبه جوهرة .....

قد أعدتني من الأرض بتوسلي وعطفك ..... برجائي وعفوك

بحاجتي وكرمك ..... بصلاتي وتقبلك .....

لكن الحنين لفني بقدرتك.. ليس لحياة البشر... ولكن لما تركت عند البشر .....

فهبت ريح لفحت وجهي الطري كوجه الأطفال في المهد .....

وحركت أطراف أجنحتي... وقالت بصوت دافئ كصوت الأمومة....

عد وتحمل ما اخترت .....

وطرت شاكراً حامداً كالطير الذي ينقد الحبَّ ويرفع رأسه شاكراً ..... للفلاح .....

نزلت أهلي وإخوتي مودعاً... محملاً في ذاتي منهم... لسكان الأرض البركة... والسماحة والعظة ..... حاملاً مشاعري كباقة زهور .....

استحضرت عبق أريجها من الجنان الإلهية .....

وأتت عروسي... عروس الحياة .....

وأخذت بيدي ..... وأغشتني بصوت أجنحتها ـ الغريب ..... المألوف

ـ وفتحت عينيَّ ..... وجدت نفسي لا أدري كيف قد لبست برقعاً جميلاً وضحكت سراً ..... فظهرت البسمة على وجه الطفل الوليد .....

ولدت يا مي ..... في بيت غني بالمال ..... مرفه بالخدم..... وكل ما فيه مختار من الجنان الأرضية .....

وكل ذلك لم يغرني ..... سوى ما وُفِّيَ لي منه (الدَين القديم) .....!

وأصْبحُ به قوياً بين أناس يعتبرونه بداية الهرم ..... الإنساني

فأغدوا قادراً على قول كلمتي ..... وأرى ملهمتي ومعلمتي صاحبة الفضْل الأم والأخت الحبيبة والصديقة ..... ماري هاسكل .....

وبدأت أنمو وأكبر داخل سجن الجسد ..... ببطء ..... ثقيل على نفسي المندفعة إلى أبعد من أي نهاية .....

وقد كانت ولادتي قريبة من صومعتي... القديمة... عند أناس يعبدوني في حياتي السابقة... لكنهم لا يعرفون... وهم الخاسرون ؟؟...!

ـ أصبح عمري سنتين.... ولساني لم يتكلم ..... وأذني لم تسمع .....

كبرت أكثر وأنا على هذا الحال .....

أرى يا مي أرى ! ولا أقوى على الكلام .....

تتفجر أمام عيني البراكين وليس بوسعي سماعها .....

لقد كُتبَ على جبين ذلك المولود.. الصم والبكم.. طوال الحياة الدنيا..

ألا إن السكوت الذي يحدثه الملل .....

ليسَ.........

كالسكوت الذي يوجده الألم .....؟؟ .....

كنت أبكي في سري ..... أتضرع أمام المعبد ..... أستغفر ربي وقبل النوم ..... كنت أناجي تمثال لأخي ..... وأمه .....

في وسط المدينة الكبيرة ..... علّي أخمد ازدحام وفوضى ..... وثرثرة يضج بهم ..... صمتي .....

وبعد صمت طويل.......

بقيت الورقة.....

بيضاء.....؟ ...

كان الليل يلج بالنهار... والنهار يحتضنه الليل... في روتين... ممل.... مميت!
والعمر يسير بسرعة... وأنا ساكن.... أرقب الأجساد... تأتي وتذهب
أراها... ولا تراني... تسمعني ولا أسمعها... لا تحادثني ولا أحادثها... وتلك
هي مأساتي .....

كنت بكياني الصامت ..... وعواطفي ومشاعري الصارخة ضحية
على مذبح ذهبٌ أحتقره ..... وشرف موروث أبغضه .....
زهرة تُقطع بمنجلٍ سَنينٍ حاد يسمى ..... المادة ..... وهكذا .....
سجنت ميولي وكل أفكاري في ظلمة عمري ..... دون إثم .....؟

لم أعرف اسماً لذلك الجسد ..... ولعلّي أتناساه عمداً .....!!!!

لم أسمع ناياً يا مي تغني ..... وأبكي ..... فماذا على المتجلد أن يفعل إن فاته السلوان... وخانه الصبر.... فأقول في دخيلتي المتكلمة أُسكت يا قلبي فليس سواي من يسمعك.....

أسكت فالهواء المثقل بالنواح والعويل.. لن يحمل صدى صرخاتك وآهاتك... أأسكت.

فأشباح الليل لا تحفل بهمس أسرارك... ومواكب الظلام لا تقف أمام أحلام سوى أحلامك... فانتظر مثلي الصبح صابراً فمن يهوى النور.. النور يهواه..

وكذا تابعت عمري.... أستيقظ من حُلم.... لأعيش في كابوس.... منبوذاً كما ينبذ كل المتشددينَ ..... طيور الحرية .....

أتحمل راغماً ما اخترت بنفسي ..... دون التفكير المشترك ..... فبقيت بمفردي ..... فلم أبق بحنان ربي ولم أحقق مرادي من عودتي .....!

ومـضت الـسنة تطـوي الـسنة ..... أجـوب وحـدي الطرقـات ..... وأرى لجسدي القديم تمثالاً في وسط المدينة في الساحات الكبيرة ..... وأقرأ....

اسمي على قارعة بعض الطرقات

في أرض تراني اليوم ..... عنها غريب .....

ـ أقرأ بعضاً من كتاباتي.. وأهمس بقلبي سلاماً للإطار الذي يحيط رسوماتي..

من عصارة وعيي رسمتها ..... من دماء قلبي سقيتها .....

كلماتي يا مـي ..... تنكـرت لـي ..... وهـي الـتي زففتهـا ..... عـرائس للبشرية مع كل نبضة ..... قوية ..... حية .....

وأبكـي يـا مـي وحـدتي بـين ملايـين البـشر ..... فالكـل تنكـروا لإخوتي تجاهلوا محبتي ..... التي متُّ وأنا أسقيهم من ذاتها .....

ورموني في ذلك المنفى..... الروحي ..... بوحدتي بين ملايين الفضوليين ولكـنَ أشـياء صغيرة كانـت تعـزيني ..... تـزرع في نفسـي فرحـاً ..... جـداً حزين كفرح طفل يتيم يـرى الألعـاب المترفـة ..... المزدانـة خلـف الزجـاج في وسط المحلات العالية الفاخرة ..... البعيدة .....؟

تلك الـتي طلبـت أن يتلـى فـصل مـن كـتـابي في ليلـة زفافهـا بـدلاً مـن رسائل الإنجيل .....

كنت بين المدعوّين بلا دعوة.... رأيت أنفاسـي تطير مـع كـل كلمـة قرأها الكاهن ..... تتحول إلى أرواح تحوم بين الحاضرين .....

تتحول إلى نبيذ معتق تملأ أقداحهم.. ويرتشفون يا مي من دمي ..؟

* *　　　* *　　　* *　　　* *

ومضى العمر ..... ولم أولي اهتمامي بتلك الدقائق التي قاربت أجلٌ لنفس ..... في كل لحظة تتمناهُ مثل .....

موت أمي وأبي.. فهما من نسى أن لهما ابناً له حاجاته ومواجعه.. وهو بحاجتهما دون الناس والخدم... والمال... المتكفلين بكل أمور حياته وبكل صدق... كانا يشعرانني.. آه... وكأني عار وعيب يا مي.... تصوري يعبدوني ويستحون بي أمام مجتمعهم المخملي الراقي..!!..؟؟

كان يشغلهم ذلك الشيطان المتشكل بهيئة دولار!! ..... لذلك لم يهزني موتهم تباعاً لأنهم ..... منذ أن ولدت كانوا أمواتاً في عرفي .....

ومن دموعي أخذت مؤنساً لوحدتي وانفرادي ..... ومعلناً عن كل مخبآت صدري .....

لم أحب ..... إلاك يا مي وبذلك لم أتزوج ..... وأيضاً ..... من تقبلي إلا لثروتي ولأول مرة .....

شعرت بنفوس أولئك المقعدين ..... بنفوس مبتوري الأيدي والأرجل وبما يفكر به ..... كل المحرومين .....؟

ـ سارت بي الأيام العنيدة ..... وها آنذا أبلغ الثلاثين ..... فغدوت
بسن المائة والثلاثين ..... لمن يراني ولا يعرفني مسبقاً .....
وبدأت أفقد إحساسي بسير الزمن ..... متناسياً دقات قلبي
الحارقة فكنت في يوم ما .....
لا عَالِمٍ ولا مُتَعلمْ ..... مكتبة لا يؤمها مطالعين .....
حُلي وأحجار وألماس ..... بيد شيوخ ورهبان ..... زاهدين .....؟؟ .....!

وفي أحد الأيام التي نسي التاريخ ..... أو تناسى عمداً ذكرها .....
ذهبت للهيكل.. ركعت على أدنى درجاته وبصوت... تختال... تترنح بين مقاطعة معاني اليأس والحيرة.. راجياً ربي في دخيلتي المتكلمة.... والتي تصغي للنور فقط .....
إلهي.. يا رحيم.. ومن غيرك يرحم.. يا تواب.. ومن يقبل التوبة غيرك....
هي يقظة في أعماق نفسي ..... تقرَّ بالخطأ وتستغفره .....
نحن البشر ـ نطفة خاطئة ـ تواقون للكمال .....
نقتل الماضي وننساه.. نتحداه بالمستقبل.. بعد أن نزيل من الوجود... حاضرنا..؟

فاغفر لعبد تاه من عبادك.. أخطأ وندم.... على ما اقترف بكل أنانية
وفي آياتك تقول: إنَّ لَفي الاعتراف بعض الغفران .....
قد دست الأزهار في سهولك ..... وقطعت الأشجار من جبالك .....
رميت أحجاري عبثاً في أوديتك... نبشت كهوفك... بل وحطمتها....
رميت كل أوساخي في كل بحارك ..... وخربت مجاري أنهارك .....
وقطعت الماء عن جداولك ..... وصممت أذناي عن سماع صوت الأبدية الذي يتكلم بنورك .....

وفي غفلتي ..... فَتَحْتُ نوافذ نفسي وأبوابها ..... وخرجت إليك .....
مثقلاً بمطامعي ..... مكبلاً بقيود أنانيتي .....
فحملت عني أثقالي.. وحللت القيود من معاصمي... وأعدتني كائناً بشرياً فما أكرمك.. وما أشد حنانك على أبنائك المنصرفين عن حقيقتهم إلى أوهامهم... الضائعين بين ما بلغوا إليه.... وما قصروا عنه .....

ونهضت باكياً.. حائراً... رأيت عدة أشخاص واقفين ينظرون إليَّ بشفقة وكأنهم يسمعون صوت... صمتي... ذلك الحزين في زحمة الأفراح

وهممت بالانصراف إلى صومعتي..... لأقضي على غربتي ووحشتي بنومي العميق.... الطويل .....

وبعد فترة قصيرة... لا تتعدى العشرة أيام على صلاتي أمام الهيكل وأنا على فراشي وحيداً... يا مي! سوى من بعض الخدم... الأوفياء... والذين ينوحون... لعل قلبي من كان يسمعهم... وروحي تستأثر تنهداتهم المرة...

وفي خضم صمتي... أغمضت أجفاني الثقيلة... فرأيت عروستي الحبيبة كعمود نور تتجول بين الأحياء... فيها أكثر مما فيهم من لغة الحياة...

- لم أبق للحظات..... أنتظر أن تمر على مخيلتي سلسلة قصيرة من شقاء حياتي الطويلة... فماذا عسايَ أرى في عمر أصم... أبكم ولهذا.... أسرعت لوضع حد لتلك الحمى الحارقة ..... والتي نهشت جزءاًكبيراً من روحي ..... ومددت إليها بيدي ..... وصرخ الصمت المتحجر ..... خذيني إليك يا عروس الرحمة .....

فرفرفت ..... وأمَت إليَّ ..... عانقتني ..... ثم مسحت بيدها الحنونة على عيوني وأغشتني بصوت أجنحتها .....

وذاك الصوت الذي أريد ..... وأنتظر .....

استيقظت في كون السماء الواسع بين أهلي وأصدقائي وإخوتي .....

وبالإضافة إلى الذين تبعوني من حياتي الأولى .....؟

ورأيت أيضاً أولئك الذين كنت.... أرى وجوههم الهرمة متشحة ببرقع نسميه الشفقة.... من حياتي الثانية .....

ولما غابوا عن نظري بنظراتهم ووجوههم لفترة طويلة أدركت في داخلي وببصيرتي أنهم انتقلوا إلى المكان الأكثر أماناً .....

إلى أحضان السماء بجوار كل الآلهة .....

والمهم لي والملفت أنني وجدت أهلي ..... أمي وأبي ..... عبيد المادة وخدامها إنهم ليسوا ملائكة مجنحين ..... لأنهم في درجات سفلى .....

ويل للساخرين والمعظمين والمقصرين في يوم الدين ..... إن الخاطئين في دنيانا يا مي هم في درجات سفلى عن المؤمنين السائرين على الصراط المستقيم ..... الخاضعة لهم ..... الطيور والحيوانات والنباتات وكل الموجودات فهم من يرى فقط وجه الله ونوره .....

والشمس هي النار التي وعد الله بها الكافرين الذين أنكروا وجود الله أو أشركوا به وأولئك لا تحق لهم الشفاعة أبداً .....

ولحكمة ما جعلها أمامهم وبصورة واضحة علّهم يتذكرون ويخافون لأنه وفي النهاية سيجعل من تلك المذنبات والشهب لهم مطية إلى قرص الشمس وفيها العذاب المبين .....

فهي كما تبدو لي ..... رمز النعمة ..... وشر النقمة .....؟؟

ـ وبعد إدراكي لهذه الحقيقة... تفقدت أصدقائي... لم أركِ بينهم... ففرحت سراً وعدت لأراقب مع أخي... وإخوته الكثر... عن أديم غيماتنا... حياة البشر الرتيبة تلك الحياة التي يلبسونها المعاني تزلفاً أو قسراً...

يحملون فيها أمانيهم ومنها أحلامهم كصليب... غير مقدس .....

ويجرون به عبر الخواء.. خلف بعضهم... فتردد الأصداء نداءاتهم... وتهمي على أجسادهم... فتنعشهم... ليوم أو اثنين....

وتزيد على صليبهم..... إكليل شوك..... ومسمار.....؟

تلك الحياة الصامتة ..... الصارخة ..... بألف شكل وألف لغة تراهم عاجزين ..... مقعدين عن فهم أي لغة أو تحليل أي أي شكل فتثقل وطأة الحياة ..... بصمتها ..... وعجزهم .....

فتشرح بينها وبينهم ..... هوة اليأس والإبهام ..... وتكاد ترميهم بأقل النسمات وبذلك لأجيال طويلة يغلقون بعناب أيديهم محراب الفردوس .....

ذاك القريب ..... والبعيد كل البعد عنهم .....

فتأخذني الفكرة إلى ذلك الجسد الذي أدركتُ ..... كم كنتُ له ظالماً وبه أنانياً .....

لقد أورثته جزءاً كبيراً من كآبتي ..... رسمتها بعنف ..... بوحشية فوق صفحة وجهه .....

ـ إن تلك الأجساد التي تحمل نقصاً متعمداً من خالقها ..... فُصّلتْ خصيصاً لتلك النفوس الخاطئة ..... وذلك أهون عقاب ينالونه..... وأنا بتعجلي واندفاعي ..... لبست ثوباً لا يخصني .....

لقد أحرقت ولجيل كامل عينيه بالدموع... حتى اكتوت... فما أشد قسوتي عليه ..... وأيقَظتْ فكرتي كلمات مكتسبة في حكمتي

((إن الله أشفق من أم على ابنها على عبده الخاطئ ..... إن تاب))

ـ كنت أشعر يا ميّ بشيء غريب ..... هو أننا جميعاً في سماء الرب الواسعة ننظر إلى البشر ولكل الأشياء من أعلى الأعلى ..... إلى الأسفل البعيد ..... القريب ..... نحسُّ بمساواة بيننا .....

وبرغم انعتاقنا من أجساد البشر وأثقالها... وذلك الشعور.... هو الذي نادى به أحمد العربي وأخي الناصري من قبل... فما أحكم الله في خلقه

ـ وبعد مرور سنة.... على جلوسي وإخوتي.... نرقب كل صغيرة وكبيرة ..... اخترق نظري جدران بيت صغير في حي مضعضع أشبه بتلك الأحياء التي يسكنها الفقر عارياً..... لا يخجل.....؟؟

قرأت على لباس الأطفال سمات العوز والحاجة المتوحشة القابضة على أجسادهم البريئة .....

كانت امرأة في الخامسة والعشرين من عمرها المنكوب

لديها ثلاثة أطفال... وبنت ..... صغيرهم ..... يكغي في المهد .....

وكبيرهم في السابعة من عمره... فبعد غياب الشمس لا زال يلعب مع أقرانه في أزقة الحي.. الميتة.. فيحدثون بضجيجهم صورة حية يلبسونها لتلك الأزقة عنوة ....!!!!

* *   * *   * *   * *

وكان ذلك اليوم الذي لا ينسى .....

الجو على الأرض.... يرتدي معطف الربيع الخفيف ..... يعكس بحلته أنواراً وكأنما نجوم في كبد السماء.... وينظر إليها من الأرض .....

وفي جوار ذلك البيت.... كانت الأفراح عامرة ..... كان زفاف البكر لديهم ..... وتعالت إلى مجالسنا الأصوات .....

فقامت الصبايا والحسناوات يرقصن ..... ويتمايلن بقامات ..... تعدو خلف اللحن مثلما تتابع الأغصان اللينة ..... مجاري هبوب النسيم .....

لكني وفكري بقيت بجوار الفرح وأهله ..... بذلك البيت الصغير

الذي لا يكاد يتسع للأسرة مجتمعة .....

ولعلي استوضحت من أحاديثهم وحركتهم أن المحبة كانت توسع مكانهم وتعلي إلينا دارهم .....

وتشبعهم الرغيف ..... وإن كان مرّ ..... مجبول بالدمع والحسرة

مخبوز على فرن التأوه ..... والأناة؟

ـ وعندما جرّت الشمس آخر الخيوط من وشاحها الأحمر خلف السهول اللامتناهية وبدأت النجوم تلمع في القبة العالية.... القريبة؟

ظهر الليل الساكن.. متوجاً بالقمر.. متشحاً بثوب الصمت والسكوت

سوى من الصوت الذي يخرج من دار العريس ..... وذلك

إذا استثنينا الأصوات التي لا تسمعها الأذن .....

ـ وفي الجوار ..... وفي ذلك المساء .....

كانت تلك الأم في المطبخ ..... تصنع شيئاً مما جبلته يداها

من الحمّص المسلوق والخبز اليابس المكسر

علها تخرس الجوع الرابض بعنف ..... في أحشاء أبنائها .....

الأطفال يلعبون.. ويقفزون... فرحين.. بينما أمهم تحترق قليلاً.. قليلاً...

لتضيء لهم ..... ولو ذلك النور الشحيح ..... وتسمح لنفسها بين ازدحام اللحظات أن تراقب لهوهم ..... كما يراقب القمر ..... همساتْ العاشقين

ولم يكن بمقدورها إلا أن تدير وجهها مرة إثر مرة نحوهم ..... كانت تبتسم للجدية البالغة في أحاديثهم ..... وأيضاً .....

لم يكن في بعض الأحيان بمقدورها أن تسمع بوضوح كل ما يقوله أطفالها في ضجيجهم .....

ولكني يا مي شعرت أن تلك الأم تصغي بقلبها أكثر مما تصغي بأذنيها...

فكان همهم يغاليها كالصليب فوق الكتف العارية ..... علها تحفظ النعمة في قلوبهم.... والبسمة على وجوهم .....

ـ وفي هدوء وبطء ..... نهض الولد الأوسط بين الصبية ..... وكان يصغر أخته الوحيدة الشقية ..... الفوضوية ..... المدللة .....

وقف يرقب أمه ..... وقد اتكأ برأسه الصغير على كف يده .....

على الأريكة الممزقة .....؟

كانت الأم تنظر إليه كل لحظة ..... تعزي جوعه بابتسامة .....

حنونة ..... فيبتسم ذلك الطفل .....

وكانت تلك الابتسامة في عرف الأمومة ..... لا تشترى بمال

ولا حتى بشيء من موجودات الدنيا ..... القليلة .....؟

فتهتاج عواطف الأم ..... وتدفع ثمن البسمة ..... دمعة رقيقة وتنهيدة جداً عميقة.....

آه .... ما أسمى الأم يا مي .....

كانت تصنع أقراص الفلافل أو الطعمية من ذلك العجين

وأخذت قرصاً كان قد هجع الحرّ فيه .....وأودعته بيد الصغير.

كان ينظر إليها.... كالذي يقتاد إلى الحرب الطاحنة.... ويقف مودعاً أغلى الناس على قلبه .....

قَسَمَ بيده الأخرى قسمة صغيرة ووضعها في فمه.... وبقيت عيناه تنظران كالبلور.... إلى ما هو أبعد من كل المرئيات ..... والابتسامة لا تزال محنطة على شفتيه ..... كوشم ..... كذكرى ..... يزفها للآتي من الزمن كانت الأم تنظر إليه بين الفينة والأخرى ..... وفي لحظة ..... وعلى فجأة لاحظت النظرة البعيدة..... البلورية .....

رأت الفم الوليد كيف يذوي ويشيخ ..... فنادته برجفة.....

برح صامتا ..... ويده الصغيرة الطفلة ..... تمسك بالنصف الآخر .....

وكأنها تقول للجميع ..... هذه ليست ملكي .....؟؟

فتغيرت ملامحها ..... وكأنها ترى في فضاء الغرفة ..... ظل إله.....

هرعت إليه ..... وخضته بعنف ..... متكلم ..... ثائر .....

فأغمضت عينيه وخبا نور البراءة والطفولة ..... فيهما .....

زهرة الفل الصغيرة ..... أغلقت أكمامها ..... معلنة حلول الليل .....

زائر خفيف الظل.... رحل... دون علم مسبق... ولم يترك لأصدقائه سوى صورة لجسده.... تذكّر به.... مع بعض الأطمار البالية .....

ـ حملته الأم وركضت به إلى الخارج.... وسمع الناس المحتفلون صراخاً جارحاً ..

ترتعش له دقائق الفضاء ..... ونادت .....

تعالوا أيها الناس..... تعالوا ..... فالعرس هنا ..... وهذا العريس .....

ـ اجتمع الناس حولها متأسفين على حرقة الأم ونحيبها .....
فوجدوا ابنها يرقد.... نائماً.... بهدوء.... لكنه لا يحلم فوق منيته....
فهل يستطيع صوت أمه ..... أن يوقظه .....
كما كان قادراً على جلب سلطان النوم من آخر الدنيا إليه....؟؟
كانت تبكيه تارة ..... وتنوح بصوت يحفر أودية في قلب الصخر .....
تضع رأسها على صدره توشوشه صرخة في برقع ..... همسة تخشى أن يسمعها الهواء.... والصدى ..... فتصمت .....
ترفع رأسها ..... وتنظر بعينين ذابلتين ..... كآبة الدنيا تسكنهما ترنو نحو الليل..... ذاك الأسود العميق .....
تنظر بعينين يشع فيهما.. ذاك الوقار الحزين.. ذاك البهاء الكسير...
وبذلك التمعن النجاعى.... الذليل .....
وكأنها تبحث فيه عن روح ابنها الفقيد ..... تبحث عن ذاك الأسى
الذي سلب قلبها ..... بمجرد تنهيدة .....
تمسك بأصابعه الباردة ..... تضمها وتفردها ..... برجفة ..... تشبه رجفة الأيدي التي ظفرتِ إكليل الشوك ..... للسيد المسيح .....

ـ ومن عمق حنانها تخلق في كفيها قطرات من ندى حبها خرجت فتمسح بها الخدود تارة... ألا أن عطر الخدود قد تسامى إلى دنيا الخلود..
فيضج صمتها الأسود.. كالمقبرة.. فتخرج أناة من صميم قلبها المكلوم..

وكأنها حزنت لدهور.... فلم يبقى من الزهرة سوى شبح ..... مرسوم
فرفعت رأسها إلى السماء... ومن بين الندب والنواح .....
همست....
انقلي لربك أيتها الأرواح السَّابحة ..... صراخ نفسي وانشريه بين الأرض واللانهاية.. افرحي وهللي أيتها النجوم فاليوم تزف إليك الوردة بشذاها فازرعيها بجنان ربك الفسيحة .....
واسهري بقربها..... فما زالت صغيرة ..... بالطهر الشفاف ..... مروية.. اسقها من حنانك أيها المستنير وعلمها الأخذ والعطاء
واجعل من هلالك لها فِراش ومن بدرك ..... غطاء .....

وأنت أيها الإله .....
أما أوحيت لروحي يوم مولده بحكيم عجوز ..... فكيف تأخذه ..... وتنقض عهدك .....
وعدتني بالطود ..... وها أنت تأخذه رابية .....
وعدتني بنبيّ ..... وها أنت تأخذه بشر .....
وعدتني بالبحر ..... وها أنت تشربه مستنقعاً
فحكيمي لم يصبح طوداً.....
ونبيٍّ لم يمشي على البحر.....؟
أنت من وعدني بقبلة الحياة وأنت من صفعني بكف الموت
فَبِأي أنامل حطمت ضلوعي ..... وسحقت قلبي ..... ولماذا؟
لماذا تأخذ الآن مني طائري الجميل ..... الذي لطالما أطعمته ..... حبات قلبي وسقيته مِراراً من نور أحداقي ..... وأوسدته حنايا روحي .....

وأحكت من مهجتي له عشاً.....
ما أنا فاعلة لتحرق مآقيَّ بدموعي .....
قد سرت بإيمان ..... بكل إيمان على دروب كلها شوكٌ دامي.....
وأحجار لاهبة ..... وأنت طلبت الصبر ولكنك لم تخلقه سلعة
تباع وتشرى مثل الكتب فوق الأرصفة .....
أين منك يا ربي جبران القلوب الضعيفة المتهالكة النبضات
المدماة بالأشواك والبؤس والعوز
فوضعت يديها المرتجفة على وجهها مستغفرة ..... نادمة
وحنت رأسها على صدر طفلها .....

* *   * *   * *   * *

كنت ..... وأخي نراها ..... ونسمعها يا مي
وصوتها يقتات من قلبينا ..... قليلاً ..... قليلاً .....
ودموعها ..... تؤلمنا ..... تعاقبنا ..... تستقطر من اللاشيء دموعاً
تطهر ذات الحجر ..... من قسوته ..... تحيطه ببرقع رحمتها
نعم يا مي لقد بكينا ..... ليس لأنه مات ..... فالموت جداً جميل
لكن دموع الأم من فعل بنا
قد كتبت في أشعاري عن الأم الثكلى مرات ومرات
لكني اليوم ..... لأول مرة قد رأيتها .....
وليتني ما فعلت .....؟؟

وقطع صمتنا وسكينتنا صوت غريب مألوف ..... لم أنظر لمصدره إلا بعد أن داعب الهواء صفحات وجهي ..... فنظرت عيناي من خلف ستائر الدموع وإذا هي عروس الحياة ..... تمد يدها إليّ ..... تناديني .....

فقد شفع الله لدموع تلك المرأة.... وقالت لي عروسي نادت بالله لجبر القلوب.... فكن لها ..... جبراناً ..... سامياً .....؟؟

ـ ورفرفت عروسي ..... ولم أشعر إلا وأنا أتخبط في جدران المادة في الجسد الصغير .....

وبدأ القلب الميت ينبض ببطء الساعة ..... أمام اللحظة العاجلة .....

فكتمت الأم أنفاسها ..... ورفعت عن صدره رأسها .....

ونظرت حولها لبرهة ..... ثم عادت ووضعت رأسها مستوضحة .....

نعم إنه يخفق.... وصرخت صرخة.... اخترقت قلوب الحاضرين....!!

وكأنها طعنت بسيف!! إنه حي ..... إنه حي ..... فسمعنا بعضهم يقول ..... مسكينة قد فقدت عقلها بفقدها لابنها .....

ـ حملته من بينهم ووقفت به ..... تبحث فيه عن أمل مستحيل ضائع خضته ثم أعادته لمكانه ..... وبقيت واقفة ..... تنظر بقلبها .....

لأشباح الموت ..... كيف تُصرع بقوة آلهة الحياة .....

رأت نقطة حمراء صغيرة ..... تزين جبين الوردة الذابلة .....

وبدأت تتسع حتى بات الوجه بأكمله أحمر بلون الدم ..... الحي .....

فارتعشت أصابع يده ..... وسَرت رجفة هادئة ..... إلى إحدى أطرافه

فقالت امرأة بقربه.....

إنه يتحرك!! وقالت أخرى.... فعلاً إنه حي.... واقترب الناس منه.... يحركونه.... يقلبونه.... يتلون بعضاً من الآيات فوقه... فندت عنه صرخة عميقة وعالية في حلمه.

شقت طريقها بقوة إلى شفتيه ..... فخرجت كهمسة ..... فاستيقظ فجأة على صوته الخافت ..... وفتحت الآلهة عينيه .....

وكانت عينيّ اليوم يا مي .....

فقامت الناس مجتمعة ترقص وتهلل ..... فقد محت اليقظة الحقة

ما صورته الأقدار والأحلام الميتة كالموت الأسود ؟؟ وذلك بعد أن فتحت عينيه المغمورين بظلالٍ وأخيلة ..... رَحَلتْ عِنوة .....؟

ـ فركعت الأم مصلية على أديم التراب بوجل وشكر وعرفانٍ بالجميل.. الكبير .....

وراحت الناس الباكية كالأحلام تهزج وتغني ..... وكان الذي جرى بعرفهم ..... مشهداً مسرحياً على مسرح الحياة الساخرة .....؟؟

وقد نجد مثل هذه الحالات الغير عادية ..... والتي تحدث عرضاً ..... حيث يجد المنطق نفسه ..... واقعاً في الخطأ .....

وحملت الأم طفلها ..... كمؤمن تُفتح أمامه أبواب الجنة الواسعة

احتضنته طويلاً ..... تمنت أن تصهر خدها على وجهه الطفل .....

أن تروي بأذنيه قصتها الطويلة ..... علّه يعي سبب الحرمان .....

والحاجة الموجودان بوجود اللحظة الأولى للتكوين ..... تمنت أن ترسم له الطريق الذي اغتال روحها مرات ومرات

أن تريه صُوَراً لوجعها المر.... لرجائها المحطم.... لأحلامها المقتولة... أو أن تتلي أمامه آيات تعبها ..... علّه ..... يبتسم ..... فتجد على شفتيه .....

ولو مرثية واحدة ..... تجعلها ..... تمسك مداد صبرها ..... همسة صغيرة علها تداوي ذاك القابع الحزين بين ..... الضلوع .....؟؟

- وبعد فترة ..... وبعد عدة سنوات .....

أحَسسّت بالجسد ضعيفاً هزيلاً ..... به علل وأمراض كثيرة .....

لكنه يتكلم ويسمع ويرى.... ويتذوق ويشتم... فهو جسدٌ إذا ما قيس بمقاييس البشر ..... بدا كاملاً.....

ولا زلت لهذه اللحظة وفي كل الأوقات أشكر الله على نعمه الكثيرة عليّ حياة أخرى ..... وأم وأخوة عظماء ..... ورحلة لروحي ..... بجسد وعمر آخر .....؟؟

في هذه الرحلة لم أرَ يا مي لهذه الأسرة أباً يرعاها ..... ويدير شؤونها فقد كانت الأم ..... هي الأب والأم والقريب والصديق ..... لأبنائها

وأما عن الأب .....

فقد هاجر إلى بلاد بعيدة ..... تبتلع الرجال ..... كل الرجال

الباحثين عن مَتاع الدنيا وبهارجها المزيفة .....

أولئك الرجال الذين تُنقصهم المصادفة... فيتناسون ماضيهم ويركضون خلف لهاثهم... تاركين كل شيء عزيز... مقدس خلفهم .....

يتركونه ضحية للوحش الدنس .....

المختبئ في أجسادهم البشرية .....

وهذه هي تفاصيل تلك الأسرة البائسة... السعيدة يا مي...

ولكن كلمات عروسة الحياة بقيت لسنوات تتردد في داخلي .....
قد نادت بالله لجبر القلوب ..... فكن لها جبراناً ..... سامياً .....
لسنوات عديدة كانت أمي الغالية تنسيني ..... صراخ الماضي .....
تنسيني بحبها أن جسدي يحمل روح مَن عشق لأجيال داخله
تنسيني ناراً مضطرمة في مخيلتي.. وتهدئ من أجيجها بمرهم سحري
صنعته من الحنان المنسكب مع نظراتها ..... وكلماتها .....

ـ وبرغم كل الأحداث كنت في كل يوم أكشف النقاب عن بعضٍ من بعض هذا الذي أنت الآن تقرأينه .....

وقد صنعت لك صورة خيالية ..... باهتة المعالم ..... لونتها بكثير من الكمال الرقيق ولعلها بدعة من ذاك المسمى ..... بالعقل الباطني .....؟

وحاولت جاهداً المثابرة على الإخلاص لعشق هذا الظل الغالي .....

ولعلي شخصياً لم أكن قادراً على إعطاء سبب لوجود مثل هذه المشاعر لحب بات ..... حباً أمومياً ..... بنوياً .....؟؟

أرى من بعيد تلك العينان السماويتان ..... تحدقان أبداً فيَّ.....
تستشفان جزءاً من ندى روحي.. وأسمع موسيقى الأفكار الهامسة...
تلك التي لطالما أحسستها متفقة وحدها مع أفكاري
وكنت أذهل.... أعجب لطول إصغائي وأنا .....
أنا المشتاق للكلام... للثرثرة... أكثر منه للإصغاء... والسكوت...؟؟

ــ لم تكن تقنعني الكتب المدرسية.. ولعلي لا أحتمل الجلوس لساعات متتالية أمام أساتذة... أراهم يرددون أشياء لا تخاطب ميولي

المنفرد وأشياء تعلمتها منذ عدة أجيال بل وعايشتها.... لذلك .....

خرجت من المدرسة باكراً... فمن يكن مثلي.... لا يتعلم في المدرسة الصغرى....

شققت طريقي إن جاز لي التعبير في المدرسة الكبرى.... بجسد فتي سليم ..... فأنا اليوم ابن الخامسة عشر .....؟

وفي هذه المرحلة كنتِ تزورين مخيلتي مثل الحلم أو الفكرة... وترحلين خلف ضبابية أفكاري المتشعبة.. عندما أحاول استجلائك وفهمك..؟

ـ مضت خمس سنوات ودخلت العقد الثاني.... وألغيت جسدي .....

الذي عهدتني به أنوار السماء ضعيف.. بات جبلاً بشرياً... قوياً صحيحاً..

كنتُ وأنت خير العارفين ..... أعشق التدخين ويسعدني أن

أشعل القادمة من الراحلة... فمٌ بفمْ .....!!

لكني اليوم أبيت أن أكبح جماح القوة بضبابها ..... وسمومها

فرميتها يا مي تصوري .....

لقد أقلعت عن التدخين بعد سبعين سنة على موتي الأول.. فتصوري..؟؟؟

ـ اشتريت كتبي من المكتبات.... وأعدت قراءتها مرات ..... ومرات

واكتملتي يا فكرتي..... وعدت إلى الذاكرة .....

بوجهك ..... بصوتك ..... بضحكك ..... بكل ما أحببت فيك

فاستجليت الماضي في تأملي ..... وتفردي لزمن ..... وعادت إلى المخيلة

تلك الرحلة بعد موتي الأول... وتلك السنوات التي أضعتها قبل بلوغي السماء والتي لم يكن غير الله وروحي.. يعلمان عن أي الأشياء كنت أبحث..

فأصغي اليوم لبوحي المختصر قبل أن أنساه أو يحتضر .....
مثل رابطتي.... وأعضاؤها...؟؟

ـ كنت للناس جبراناً كما أرادوا.. إلهاً.... نبياً.. وحتى كافراً يرجم..
كنت قسيساً راهباً ..... وأقبل الاعتراف ..... وأغفر بقلب نقي طاهر
كمنديل أبيض ..... حملته يوماً يد العذراء البتول .....
أو فوضوي سكير ..... فلست بنادم .....
كنت مرآة.... تريهم نفوسهم الحقيقية.... مجردة من كل القشور....
نعم... سَكبتُ لهم السّم صِرفاً... في كؤوس شفافة نظيفة... كنت أقتلهم
أقوض أركان معتقداتهم... وسنتهم... ونواميسهم البالية .....
وكانوا فرحين.. سعداء... ما دام موتهم على يد صادقة.. صادقة يا مي
ولا تخفي خلف الرداء... خنْجر... وتلك تجسد موهبتي... ولعنتي....؟؟

ـ لم يكن باستطاعة مسيلمة الكذاب أو المسمى نشتكين الظهور
إلا بعد موتي.... فظهر ألف نشتكين وألف مسيلمة .....
يستقون من معيني ليرتووا... يرعون ما أنبتت أفكاري ..... لكنهم
داسوا أزهاري ورموا الحجارة في بئري .....؟
أحزنهم تكريم أعمالي من خلالي ..... فهجوني ولا يهجى سوى من
كان ملكاً ..... ظنوا أنهم سيقتلون عطر الأقحوان
إذا غطوه بظلالهم..... الضالة.....!!
ولكن كما صلب السيد المسيح جعله خالداً .....
كذلك فعلوا بي يا مي ..... وخلّدوني .....؟ .....!!

ـ عشت بين الغيوم.... مللت وأنا أرقب.... كعين تلسكوب عجوز

بلادتهم ..... وسفسطتهم .....

فنزلت بينهم شجرة ..... قطعوني وجعلوا مني ورقاً .....

وكتبوا علي ضدي .....؟

بقيت في ملكوت الله سابحاً.. وتأخرت في عودتي.. لتكون المعجزة.. أكبر

رأيتهم ..... بعد سقوط الكلداني المجنح ..... ينتقمون من جثة هامدة

وروحي فوقهم ساخرة ..... ترى كيف تحاول الزرازير الجبانة

أن تبتلع نغمات الباز الحرة ..... ولعل نصف البشر قد فقدوا شيئاً

مهماً من كل اعتبار.....؟

قطعوني يا مي ولم أبكِ ..... لم أتوجع ..... بقيت بقوتي على صليبي

أدعو الله أن يغفر لهم ..... لأنهم لا يدركون ما يفعلون .....

ونثروا كالنجوم جسدي وأجزاءه... شوهوا براقعي كلها.. عروني انتقاماً

وبجهلهم أجمل البهارج أكسوني .....

وضعوني في موازينهم.... وما أنصفوني.... نقدوا... أدبي.... لغتي.... فلسفتي حبي وخرافتي وفي النهاية ..... أعلنوا جنوني .....

وأنت يا مي .....

وأنت يا مي..... آخر أمل لحنيني ..... قُلتِ فيَّ كلمتك ..... آه..... آه.....

عرفت أنك مثلهم.. لم تفهميني... فقط لك بكيت.. ومن سكينك توجعت..

وصَرختُ ..... وصرختُ ..... حتى اشتقت للصمت .....

همت بين الجنان وجهنم ..... علّي أعي ذلك الوضع الغريب .....

ـ أرأيت يا مي كيف انقلب حبك في لحظة ..... ناراً آكلةً لقلبي .....
وضِعتُ على تضاريس كل التمتمات حتى كاد أن يورق في روح
نفسي الحزن
لأن كلمات الحبيب القاسية تبقى دون كل الأشياء.. كالحجارة...
في قلب المحب ..... ولا تضيع منه إلا عندما ترتفع الروح إلى السماء
لكن روحي من سَمعَتكِ وهي مجردة فأين تذهب لتضيع منها
كلماتك القاسية .....
فتحولت صدىً لصرخاتي .....
التف على الأشجار.. كرداء هواء.. حاكته ببراعة.. يد الجن..؟؟..!!

ـ رأيتهم بعد موتي ..... وما مت ..... لأنني رأيتهم ..... نعم.....
قد رأيتهم يضعون في وجه جثتي الأضواء.. يحاولون فهم عري براقعي
وما فهموا.... فأخذوا جثثهم الميتة ليدفنوا جثة فيها أكثر مما فيهم
من لغة الحياة ومعناها .....
تصوري يا مي .....
كنت أرقب عالمكم عن قمة سماوية شاهقة... وكنت أراك وحدك
دونهم... لأنني أحببتك... وليتك فهمتني... لأنه بوسعي البحث عن
لقائك حتى ولو انتهت كل الساعات والفصول .....
ولو انتهى كل العالم..... ولو فُنيت كل الدهور..... كل ذلك
غير قادر على إخراس صوت الحب في داخلي..... لأن قلبي أبداً
لا يتغير مع الزمن ولا يتحول ويتبدل يا مي كما الفصول .....؟

ـ عدت لأقول كلمة ..... وسأقولها ..... وإذا أرجعني الموت قبل لفظها
بقولها الغد ..... فالغد لا يترك سراً مكنوناً في كتاب اللانهاية
جئت أحيا بمجد المحبة ..... ونور الجمال..... وهآنذا حي ..... والناس
لا يستطيعون صدي عن حياتي.. فإن سملوا عيني.... تمتعت بالإصغاء
لأغاني المحبة ..... وألحان الجمال ..... وإن حجبوني عن الهواء
عشت ونفسي ..... فالنفس وليدة الحب والجمال .....؟

أتيت لأكون للكل وبالكل ..... والذي فعلته لسنين بوحدتي
أعلنه مستقبل ماضي أمام مجتمع اليوم
والذي قلته بلساني الواحد ..... يقال الآن بألسنة عديدة.....

ـ مساكين أبناء أمي تائهين في التقليد ضائعين بين الأرواح
وقشور التجسيد.... بين العهد القديم.... والحاضر الجديد
قلت لهم أن الألفاظ لا تتقيد بزمن وساعة ومكان ..... هي حرة مثل
الأرواح المنعتقة.. مثل طائر في الفضاء المديد.. يحط متى وأين يشاء
خافوا السبعة آلاف سنة بعد ولادتي الأولى
والآن عدت ليكبر خوفهم ..... وتدك قلاعهم الرملية .....
تلك التي بنوها حول كوني .....
ورأيت فيهم يا مي خوفاً ووجلاً وهم يقرؤون .....
كخوف الشيخ عباس ..... أمام الكافر ..... خليل .....؟؟ .....؟!
أراهم كأبراج مهدومة.... كقادة مسحوقين ..... يركعون تحت
عرشي الرهيب

يحاولون قراءة روحي السماوية ..... ببغض ذواتهم الترابية .....

فيفيض ما بقي لهم من حب طوال عمري.. وينسكب دموعاً من أحداقي

وبقيت ..... عنقوداً ذهبياً عالياً ..... حامضاً بل مراً لأبناء آوى .....

وكآبتي إن تكبر بفعلهم ..... تستأثر الصمت على الكلام

فقد استجدوا الرد من جثة ..... فما أجبتهم شيئاً .....

وكصنم ..... أو نبي تبعوني ..... وما عدتُ وما رأوني ..... فكيف اليوم وقد عدتُ وسمعوني.....

ويلهم ..... ويلهم لأنني رأيتهم ..... في سرهم فقط يعبدوني .....؟

وكذا يا مي ذبحوني كما ذبحوا أخي قبلي

فأيديهم ملطخة ..... حتى الطهارة ..... بدماء الأنبياء .....؟

قبل عودتي تحررت من نيتشه (فريدريك) وألوانه ..... ففي كل عودة تتحرر النفس من أسوأ شيء منها .....

كنت له كالتابع ..... والآن ملك جبرانيتي ..... والأنا فقط .....؟

كتبي ..... يا مي ..... طالبتُ بإحراقها قبل موتي لأنها تقوض أركان مجتمعاتهم ..... نعم وحرق الكتاب يكون بخلق أفضل منه .....

ولو أحرقوها كما فهموا ..... وأرادوا ..... لكان دخانها أكبر مما صنعته حروب العالم

وحرائقها جمعاء ..... لكن نيرانهم المنفردة لا جدوى منها

كعود ثقاب يطفو على سطح الماء .....؟

ـ جئت يا مي لقول الكلمات التي ما قوي جسدي آنذاك على قولها..
استيقظت في الخامسة عشرة من عمر جسدي.. وحتى أهلي ما عرفوني
لكن أمي طهارة الملائكة ..... تنبأت بقدومي ..... وقال لها أخي .....
عهدنا إليك أخانا فاصطفيه.. فالشمس والقمر.. وإحدى عشر
كوكباً له ساجدين ..... فهذا مَثلْ الذين رماه إخوته في البئر.... وأنجيناه
ولوليناهم طوفان فيه بئس المصير....؟؟!!
وقد أعطيناه فرصة ليؤكد في كل أفعاله وأعماله ..... وأقواله
إنه حاضراً من الماضي..... في الآن .....
أكثر من حاضركم جميعاً ..... فصدقوه .....

ـ أنا يا مي اليوم بركان كبير فاتح فمه في تثاءب عميق .....
يمكنني من كتابة ما يشفيني ..... يمكنني من وضع كتابي
الصغير ودون أن أعيش دهراً أو أن أكون عالِماً ..... ولا يسعني أن أحمل
أحزان الناس والأرض قاطبة مثل أخي .....؟؟
أو أن أتكامل لأصبح إله الحب..... لأصبح قادر على قول كلمتي
كلمتي الحية المجنحة بالنور .....
لن أضطر للصبر المرير ..... لن أنتظر هذه الحياة مرة أخرى كي
تلفظ كلمتها بشفتي وتذيع أسرارها بصوتي.....
فأنا اليوم ..... كل كل الحياة .....
لن أصول أو أجول لأنني قادر بشفافية واعية ..... أن أبصق من فوهتي
ذلك الحجر الصَلدْ الذي منعني وجسدي المتلف
الملقى على ظهره ..... من استباق النطق عن دور الهجاء .....

ـ وأما عنهم.... فقد كنت أعذر وحشيتهم ومهاجمتهم لعدم اعتقادهم ولقلة أدلتي... وبعد أن مُتُ.... اغتابوني.... ولم يكتفوا.....

لم يكتفوا !! إذاً

عدت لأدجن وحشيتهم وأقف لصدّ مهاجمتهم.. وجعلهم يعتقدون عنوةً

ـ مت يا مي وغادرت روحي الجسد المرهق .....

حلّقت في الفضاء الأرحب..... مناجية ربها ..... مناجية كثير

أحلامها العذراء..... مناجية قمرها الحزين في القبة الزرقاء

وأسألهم عودتي..... لتحقيق أمنيتي .....

تلك الأيام تقصّت كالأشباح وتبخرت كالضباب .....

فأبشري بلقَ جسدٍ ..... يحمل روح من سبق

مرت على فراقك السنوات والشوق الحارق يزري يا مي بي

وساهراً أرقبه وحدي ..... علّه لا ينطفي.....

عاد الزارع ليحصد ما بذر..... عاد اللّه يجمع كل ما بيننا انتثر.....

عدت إلى جناحيك.....

أقرأ صدى حرقتي ..... وصدى انسحاقي ..... عدت لأبحث عن نفسي

التي استودعتها فيك ..... فهل أنت حافظة لودائعي .....

بين طيات أثوابك ..... تركت لسنين طويلة قطرات من بكاء حنيني

فهل أنت حافظة لمدامعي .....

طبعت على أحداقك أغنيتي ..... فهل أنت منصتة لناياتي .....

وضعتُ قبل الرحيل وعداً في أذنيك ..... كقرطٍ غجريٍ .....

فهل بقيت منتظرة وفاء العهود .....

ـ أتيتك بكلماتي الماضية.. بنفسي مذكرة.. نكشف لك عن ذاتي..
معانيها لك فقط ظاهرة ..... آتية من الأزل .....
متبرقعة بمعاني الحاضر وغرائبه .....
جئت أناجي الأرواح في مهد الطفل يسوع
أسأل الريح عن عودة الحبيب .....
شاعراً خلقت في يوم مولدي .....أستجديك حديث الحب
على ملعب هذا الدهر
في قلوب الأخلاّء قوة يا مي.. جداً عمياء... تكشف مخبآت الصدور
وتبحث عن اللقاء ..... في مدائن الماضي مع الرفيقة
في بيت صغير ..... تسكنه السعادة

ـ يا لائمي لست مجرماً... فبوحي ليس إلا مناجاة... ونظرة إلى الآتي
في عيون ملكة الخيال.....
تحت الشمس.. بين الكوخ والقصر.. بين الحقيقة والخيال.. لتستعر مناحة
في كل الحقل ..... تستدعي الدهر ..... وكل الأمة .....
تستوجب زيارة الحكماء..... تعزي الأرملة ..... وعودة مباركة لابنها
فأمام عرش الجمال ونعشه.... والله تركع .....
رحماك يا نفس رحماك ..... فهذه رؤية تعاد بين الأمس واليوم
بين الخرائب والمدائن ..... نكتب ..... ابتسامة ودمعة .....

بحروف من نار .....

كي تُعيد قراءتها.... النفس وبنات البحار.... ترويها للآتي.... حكاية مجرد حكاية في حياة الحب... في مدينة الأموات... ففي كل موت تبدأ... حياة .....

أيتها الريح.... يا رسولة النور الكلي .....

أعلني عودة الحبيب المصطفى ..... وانشريه على جناحيك ..... إقرارة بجمال الموت ..... بعد سبعة آلاف تجربة .....

اسكبيه لهم ..... أغاني ..... أنشودة الزهر ..... نشيداً للإنسانية

ارفعي صوت الحكيم والشاعر والراعي والنبي.. يناطح بسموه الكواكب

علهم يسيرون إلى جنة موتهم ضاحكين ..... مثل المواكب

لا يخشون بعد اليوم شبح القنوط ..... ومن صوت العواصف

هلل يا حفار القبور للقادمين ..... لكل القادمين ..... وصلي

فالصلاة تتلى على الأحياء ..... كما الميتين .....

ـ خلصيهم يا ربة العادات والتقاليد... من نار العبودية.. أطلقيهم أحراراً

فكم من عبد حرّ ..... وكم من ملك سجين .....

قد رفع لنا أجدادنا الأولين عبره... يسوع المسيح... على باب الهيكل في الوحدة والانفراد ..... والتأمل ..... وها نحن

بدأنا بقراءة العهد الجديد.. نبحث مستقبل اللغة العربية في المدن الغربية

ونسى أو نتناسى ابن سينا وقصيدته ..... ونعتبر أنها
كتبت في سنة لم تكن قط في التاريخ
علّنا نبلغ البحر الأعظم ..... في الكمال .....

نتقرب من أمنا الأرض... نعتذر بموعظة من نفسنا عن أخطائنا .....
بالأمس ..... واليوم ..... وغداً.....
أيها الليل العميق .....يا من تسكنه الجنية الساحرة ..... ونستودعه
في كل يوم.... شهاباً ونجمة.... تغتال بهم ..... كل الشياطين
شياطين العرش
وذلك منها قبل الانتحار... لتستوفي مثلنا المراحل السبعة
فتشقّ طريقاً للنور.. في خضم العتمة.. لتظهر فيها بياض النفس.. القاتم
فتغدوا كسفينة في الضباب الأثير ..... وفي الصباح
تعود حفنة من رمال الشاطئ.....؟
وفي صمت
كالحلم.... تحدّث أبناء الأرض... نحن وأنتم... بين الليل والصباح
ترمي في وحشة الوحدة والسكون ..... وإغرائهم.....
كل المسكّنات تتكلم بلغة المباضع.....
وترمي كل المستوفين حق ذنوبهم ..... كالأضراس المسوسة
فيشرق في صبح الأرض ..... مساء العيد .....

وينهض الجبابرة.. من إرَمَ ذات العماد.. في يومٍ.... المجاعة فيه روحية
يقتاتون على الأجساد .....

فتصرخ الليالي والنجوم والأعياد..... وأبناء الأرض ..... وأرواح السماء

مات أهلي ..... مات أهلي مات أهلي .....؟

فتستفيق الأمم وذواتها بعد حين ..... تفلسف المنطق

تستذكر شيطان العاصفة .....

ترتشف في كأس شفافة نظيفة ..... السمَّ في الدسم ..... وفقط

بعد الموت..... نكتشف ما وراء الرداء

وتكثر البلبلة.. وطوائف المتكلمين والزاعمين.. ويعود مسيلمة ونشتكين

والصدق يغلف فمه .....لأكثر من حين

والقلب يبقى وحده ثائراً كالبنفسجة الطموح .....يكسر القشور

ليحضَ باللباب .....

فتثقل النفس العائدة ..... بإثمارها ..... وتعود

لتستعطفكم يا بني أمي .....

يا أبناء الآلهة .....

يا أحفاد القرود .....

- أيتها الريح المتمردة ..... يا صدى نحيب القبور .....يا رماد الأجيال

أيها المدفونون تحت النار الخالدة .....

قد أعادت الحياة إليكم المنقذ .....يقوّم الأجنحة المتكسرة

يحمل بيمينه الشعلة البيضاء ..... وبيساره ..... قلبه لكم ..... تضحية

وفي عينيه بحيرة النار

مزلزلاً عرش الموت بعودته ..... يقر لكم كمال جماله .....

ـ أتى ليبحث عن الرفيقة ..... في تلك السحنات الغريبة .....
((وأُدرِكُ أن ..... لها عمرها ولي عمري ..... وليست جديدة ؟؟))

لكنها رفيقتي وفقط هي القادرة على معرفتي ..... وأنا قادر على تذكري لكمال نفسي بكلمة فقط بهمسة واحدة منها.....
فإعلانها لكم عني ..... معرفة واقعة ..... لتأكيد الذات وعودتها من البلاد المحجوبة .....
لتردد لمن يعادينا ..... أغنية الليل ..... وتحكي ماذا تقول
الساقية الحرة للجبار الرئبال ..... للبحر ..... للشحرور
من ضحكة الأطفال في المهد ..... إلى حرقة الشيوخ
وهم يتمنون الموت؟
باللّه يا قلبي لا تزد .....

فأنت باحث في الحجارة عن الكمال ..... لأنك اليوم عنها ..... وعنهم غريب ..... وفي كل كل مكان غريب .....؟
وتراك تستجدي بهذا الخمر من الحصرم ..... فذاك ليس المرام .....
قد أُعيدت روحك إلى هذه الأرض لأنها ولأجيالٍ حُرِمَت من الحب
ذاك الذي نسمعه متكلماً عندما يتعالى صدى البغض في النفوس
فتراه ينتصب ليعلن وجوده في كل لحظة مثل .....إله

ـ واليوم يا قلبي ..... تغيرت نصف الأشياء ..... في دنيانا هذه
وبات ما زاد عن الحب بين الناس ..... علناً
وباركوه بكلمة ..... حَلالْ.....؟

والفكر لدى المتعصبين أصغى ينبوعاً ..... وأسرع جرياً
والجرس ألطف وقعاً وأشجى لحناً.... واللجة ... باتت تخفض صوتها
لتعي أغاني الكواكب ..... والناس ..... بدؤوا يبحثون بإيمان الفلاح
عن كنوز النور ..... في أرض سكنها زمناً الجهل والظلام
فربُّ السموات كلها ..... أسقط عليهم عِلماً من حكمته .....
يرشدهم إلى سبل الحق والإنصاف .....
وأما عنك.....
فاكتم في أحشائك مجاعة.... للحب والجمال ... وابحث عن نصفك المفقود بين بني البشر.....
ابحث عن التي استأمنتها على دموعك وحسراتك ..... عن تلك التي طفتَ لأجيال لتعود إليها .....
ولو مثل ابنٍ لها .....؟؟ .....؟؟
وبدأت البحث عنك يا مي ..... بصمت ..... بثقة .....
وخنقت خلجاتي وتأملاتي... وأُسْكتُ ميولي المنفرد ..... الغريب.....؟؟

وكانت يا مي ..... يا أغلى مي
لحظة الفاجعة الكبرى اليوم لدي
ففي تاريخ ٣/٩ من سنة ٢٠٠٤
وبعد مضي قرنٍ كاملٍ على فراقك ..... وبعد التقصي في الكتب والاستعلام من ذوي المعرفة ..... توصلت إلى أسوأ ما توصلت إليه
قالوا بكل بساطة
أنكِ رحلتِ إلى العالم الأكبر ..... تبعث مثلي بحنين كل

من سبقوك أولئك الآلهة ..... الخالدين

فضج صمتي بداخلي وتحولت أجفاني شفاه.. تجيب بالدموع عن الكلام

قلت ((آه)) ولزمت سكوتي ..... وظلت ملامحي تتكلم

بصوت الرعود ..... وغضب كل العناصر معاً ..... تلك الآه

تلك الكلمة الصغيرة ..... هي ما كان بوسعي قوله لهم

ومع ذلك فقد لفحت أعماقهم ..... صرخة مؤلمة ..... مصدرها

أعماق عاشق ..... فاقد مكسور الجناح .....

لم أجد لحظتها السبيل الذي يفسَّر به أقل شيء

من جنة الأحاسيس والذي يكون تفسيره فوق

مستوى العقل البشري ..... ذلك الأبله العادي ؟

فتجدنا وأنفسنا صامتين ..... نزخر ..... نضج بالهدوء الكلي .....؟

ـ ويبقى الحب لها مني وصفاً لقطعة داخل جسدي

أحس جداً بها ..... ولكني ..... لا أراها ويبقى

صفة للمشاعر الجارفة ..... الناظرة من داخل قلبي

الصارخة ..... بأقلامي .....

المذكرة بكل أشجاني

الكاشفة لحقيقتي ..... رغم تصنعي .....؟

هذا الحب الذي يلامس أرواحنا فيوقدها ..... لتتحول جمراً.....

وتتكامل بهدوء لتصير شعاعاً.....

ـ هذا الحب الذي يلامس أرواحنا مرّة في كل جيل كرشفة لظامئ
كتوبة صادقة ..... كولادة ..... كشروق الشمس الساطعة .....
هذا الميول المنفرد ..... أو الجماعي والذي ليس بوسعنا الاستغناء عنه
ولو فعلنا لأصبحنا آلهة ..... أو رددنا قروداً وشياطين
ذاك الميل الذي لا ترضيه كل مفردات ومكنونات القناعة
عله .....دائم الجوع ..... للآتي .....؟؟

مباركة هي العواطف البسيطة والعواطف الجياشة والثائرة منها
قاتمة مظلمة كانت ..... أم براقة زاهية .....

ـ وكذا مضى جيلان على بحثي بقدمٍ يا مي عاثرة
بإرادته وحده العلي المدبر .....
وشعرت بنفسي كحال من يتبع خيط دخان
وبرغم أنك لهذه اللحظة
تمثلين أمامي وتختفين ..... خلف غلالة رقيقة من الهواء الإلهي
فبماذا أتعزى ..... أبكي ..... ولست وأحداً فاهماً لدموعي ..... علّي
لم أبك منذ زمن .....؟!!

ـ أدركت اليوم أن روحي ستظل غريبة عن روحك
ولا مكان في الدنيا لي بجوارها .....
عدت أنتظر.. بدون صلاة...مجيء عروستي... لتأخذني... إلى عالمكِ
وعندها ..... سأضع لها الراية التي تدل علّي .....
لأني هنا وحيد ..... يا مي ..... ولا أحب أن أسكن فراغاً.....

وأصرخ ..... كالجبان المهزوم

فكيف رضيتِ لروحك أن تموت ..... وتميتني ..... ؟؟؟.....؟؟

فأسمع من فوق الغيوم والسماء ..... صوتاً يناديني

يدفعني لأتخطى المستحيل

يرمي لي بذاراً لنبتة الصبر ... والأمل بلحظة اللقاء .....

وينتصر صوت الحياة فيّ على صوت القنوط واليأس .....

ما دام اللقاء ..... في أحضان ..... الله وملكوته .....

آملاً أن أجد الراحة ..... تلك التي أودعتها يوماً ..... فيها

وأقرر بكل تحد ..... إكمال الطريق الذي بدأته في حياتي الأولى

وعلى نهج كتاباتي ..... التوحيدية ..... لكل البشرية

علي أزيد الإرث لمن يقرأني على الورق.... ولعل هذا الآن

حرف واحد ..... من كتاب كبير ......؟

يا الله كيف يحتفظ الحب الصادق بإيمانه

فأنا كنت منذ الأزل .....

وهآنذا هنا .....

وسأكون إلى آخر الدهر

وليس لكياني ..... انقضاء .....

سامي كامل أبو دقة

لبنان ـ رأس المتن

لؤلؤ في أصداف.........

ـ عندما أستيقظ صباحاً ..... أجد أمامي على الطاولة .....
قناعاً للسعادة وقناعاً للحزن ..... وأنا حُر أيهما أرتدي .....

ـ إذا كان الطموح هو مالُك
فالحياة قادرة على بيعك مُجمل أحلامك .....

ـ عندما أحببت، قلت... إن الحب نعمة من الله وهو ليس مُلكاً لغيره
ومن سار على دروب المحبة ..... فُتحت له أبواب الفردوس والعَدن
وعندما أحبت أختي.. قطعت رأسها وارتديت الحجاب وقلت إثم، ثم، إثم، ثم، إثم.....؟

ـ نأكل الخبز ثلاث أو أربع مرات يومياً ..... ولكننا
لا نتذكر الفلاح ولو لمرة واحدة .....

ـ منذ الخليقة كانت هناك صحراء كبيرة.. وهي غير مأهولة.. وسُميت بالربع الخالي.. وبعد زمن كبرت... فصار الناس يقولون... هناك صحراءٌ كبيرة..... تسمى بالنصف الخالي.... وكبرت بعد ألف سنة... فبات الناس يقولون هناك واحة صغيرة تسمى بالربع المأهول .....

ـ عندما أسروني ..... منذ ألفي سنة ..... وأُخذت مع الرقيق والعبيد

مُكبلاً ..... كنت وكلما نظرتُ في وجه أحد العبيد ..... قرأتُ في نظرته عِبارة إننا نكره الغرباء .....

ـ عندما كنت هرماً في المستقبل القريب... جاء أحدهم وجلس بقربي مصطنعاً بشكل هرم.... أو شكلي.... فرحبتُ به وهللتُ له وقُلت ناصحاً إنك لتشبه صغار العنقاء أكثر منها للهرم فنظر إليَّ ببغضٍ.... وانتقل إلى جوار أبو الهول .....؟ .....!

ـ جلست مع نفسي في قديم الزمان.. وبحثنا مسألة المحدود واللامحدود.. طُفنا في الأولى.. فوجدنا الجراثيم التي تعيش لساعات قليلة.. والأشجار التي تعيش لآلاف السنين.. فانتقلنا إلى الثانية فلم نجد سوى اللّٰه.

ـ قالوا لي آمن باللّٰه تجده ..... فآمنت به ..... ووجدت نفسي .....

ـ المبالغة ..... بحرٌ تشقق قاعه عَطشاً .....

ـ الكذب ..... مشهد تنقصه الإضاءة .....

ـ الصدق فلم كامل... يستحق التصفيق

ـ إذا يوماً قدتَ أعمى إلى شَفير الهاوِية... وهناك.. وحدكم أبرحته ضرباً.. فما أنت سوى عَثرة صغيرة وضعها اللّٰه ليمتحن صَبر نبيه الأعمى...

ـ إذا أعطيت أحدهم نوراً... فاحرص على أن يكون ذلك في الليل....

ـ وهبكم اللّٰه قناع الحياء فحافظوا عليه ليستر وجوهكم في حضرته يوم الميعاد العظيم

ـ يثبت الحزن قوته بالبكاء... والسعادة تثبت وجودها.... بالضحك.....

ـ التقينا أنا والصمت على درب الأبجدية.. وبعد شهر واحد.. تزوجنا... وأنجبنا دُرراً ..... يتفوه بها هؤلاء الحكماء ..... المساكين .....

ـ الجسد كأس ..... والروح خمرة ..... وما تكاد تفرغ الكأس ..... حتى تملئ الخمرة في كأسٍ آخر .....

ـ تظل الكلاب تعوي إلى أن يختفي القمر ..... وبذلك نصرها ..... وعندما يحل الخسوف تبقى كلها صامتة..... لأن المنازلة الشريفة..... كلبٌ ..... وقمر .....

ـ إن الطيور التي تسقط الطائرات.... تُضحي بنفسها في سبيل التحيز لصنفها وجنسها... فما أوفاها .....؟!

ـ مقياس أوقاتنا..... دقات الساعة ..... ومقياس صمتنا ..... اللحظة .....

ـ عندما كان رأسي صَغيراً ..... أحسسته عبءً ثقيلاً بين أكتافي وعندما كبر ..... وكبر ..... بدأتُ أحس بانعدام الجاذبية .....

ـ أيها الكافر الزنديق ..... ملائكة اللّه من تُمسك بيديك في اللحظة التي كانت تترك يديك بكل ما كانت تمسك .....

ـ الحكيم وحده من يقول أشياءً ينساها بلحظة.. وتتناقلها الأمم لقرون..

ـ إذا وقفتُ على أول الطريق ..... وتراجعت فنفسي ترضى ..... وإذا انتصف بي الطريق ..... فالموت أقرب إليها من العودة .....

ـ الحقيقة..... موجودة..... كالقدر..... والوهم ينتقل مثل الغبار .....

ـ الخوف حاجة..... في قاموس صراع البقاء .....

ـ حياة الإنسان ..... وبكل ما فيها .....
ليست سوى حُلمٍ ليلي لأحد الآلهة النائمين في البلاد المحجوبة .....

ـ البسيط ..... شخصٌ غير قادر على التمييز بين الأجساد وظلالها .....

ـ إن ذاك المتسول على أبواب الجوامع ..... لأشبه بحارس المحَطة .....
يرى القطار أربع مرات يومياً ..... ولا يستقله .....

ـ نادتني تلة صغيرة ..... فنزلت عن غيمتي ..... ووضعتُ أذني بقرب فمها لأسمعها ..... قالت إن ذلك الجبل الكبير لا يكبرني سوى ببضعة حفنات ..... وقد ولد في كلماتها ..... الإنسان المدّعي

ـ الغني يبحث بماله عن السعادة ..... والفقير .....
يبحث بسعادته ..... عن المال .....

ـ شربنا الخمر وسكرنا ..... وليست بمشكلة .....
المشكلة أن يَستيقظ الحثالة الصغار... والكبار لا يزالوا نياماً...؟

ـ عند ذاك الصباح وجدّتُ على بوابة منزلي ..... زهـرة جميلـة وجذابـة وأظنهـا جـاءتني مـن الجنـة..... لأن الحديقـة الـتي تفـصلني عـن جـاري لا يمكن أن تنمو فيها مثل هذه الأزهار .....

ـ إن إيماننا الصادق بفعل الأشياء ..... يصنع نصفها .....

ـ لو مر الذئب بالقطيع وأفناه..... لا ضير لو بذنبه..... نفنيه .....

ـ لا تضحك الأرض العطشى..... إلا إذا بكت فوقها السماء .....

ـ يا جاري الأعمى ..... إذ أخطأ جروك الأخرس .....
فأنت مخول بالاعتذار عنه .....

ـ إن مـن تـسير بربـع ثيـاب ..... ترتـديها لـتعلن امتلاكهـا نعمـة الحيـاء وإما عن تقصيرها ..... فتلك هي الرغبة الطافحة ..... في التجرد منها .....

ـ دَخلتْ قطة يوماً إلى المستشفى المجاني في حَيّنا.... فرأت كيـف تـتم الـولادة وبـأي الأشـياء يعـاد صـنع المـوت لـه..... (المولـود).... وتعلمـت دلال الصغار..... وخمول العجائز الكبار .....

ـ ما السر في أننا وكلما انطوت سَنة من عمرنا.... نكون سعداء.....
والأكثر من ذلك..... نقيم احتفالاً..... وشموع .....

ـ عندما هاجر ذاك الرجل.... تاركاً وراءه زوجةً وطفـلاً لاهثاً بأنانيـة خلف امرأة أخرى.... كذلك فعلت زوجته تاركة طفلها الصغير للاشيء...

لاهثة خلف انتقام المرأة بحبٍ آخر .....

في ذلك المساء ..... وفي أحد الأزقة المظلمة ولِدَ ..... المتشرد الأول .....

- تعيش الأسنان في فمنا لعشرات السنين وعندما نقتلع أحدها .....

نرميه دون النظر إليه ..... فما أنكرنا للجميل .....

بين المحدود واللامحدود ..... نور أبدي .....

وبين المعقول واللامعقول ..... ظلامٌ دامس .....

- لا تموت النفوس وهي صغيرة إلا لتقول أنها أخطأت في انتقاء الجسد.. وجلَّ من لا يخطئ .....

- لا عيب في أن نتكئ على أيدي زوجاتنا أحياناً.... لكن العيب في أن يتحول اتكاؤنا ..... نوماً عميقاً .....

- لا تجعل البحر يرى المستنقع فقد يرمي ما فيه ..... ويعلن غروره .....

- عندما تثني على أحدهم في محفل فأنت تمنحه شعور الفطيرة عندما يُسكب عليها الشراب الحلو .....

- من صَمت الأشجار الطويل ..... خُلق الثمر.....

- الأحلام في عالم الأرواح ..... أقصى درجات الحرية .....

- رأيت أمنا حواء في الصدفة واقفة على جبل عَرَفة المقدس تحمل

صورة ضخمة لامرأة عارية كُتب النور تحتها ..... المرأة ..... أمٌ وأخت وصَديقة وحبيبة وجسدها ليس موضوعاً دعائياً ..... يا أبنائي .....

ـ كل شيء ضروري في هذه الحياة حتى أولائك الجبناء ..... فبدونهم تبدو كل الأشباح ..... دمى وخيطان .....

ـ لو كان الخوف والهلع عند الإنسان راية يحملها على كتفيه لكان الانقراض ..... وصمة على جبين الإنسان منذ الأزل .....

ـ الاعتذار ممحاة صغيرة قادرة على مسح صفحة كبيرة

ـ ناكر الجميل هو ذاك التنين الذي يستنشق الهواء ..... ويزفر النار

ـ تسكن في قلب الجبان نبضة تقول نعم ..... ومئة تقول ..... لا.

ـ الصبر ..... أن تحتمل كل الصدمات والضربات ..... بإيمان وشكر والفرج ..... أن يموت ذاك الجلاد

ـ ابحث في النساء ..... عن الواقعية العاقلة .....
وابحثي في الرجال عن العقل الواقعي .....

ـ المجد شخص يتسلق الجبل ليقابل أخاه ..... في السهل المقابل .....

ـ ليس غريباً على الرسام الجائع أن تجد في رسوماته... خبزاً ودجاج..

ـ المطالعة المستمرة آلة رياضية تقوم بتدريب إحدى العضلات في مكانٍ ما في رؤوسنا .....

ـ إن الحمد المستمر يردُّ جُزءاً بسيطاً من الفضيلة على الإنسان .....

ـ لو كان يدري ذلك الكلب أن الليلة موته.... لما أشقى نفسه بدفن ذاك الجبل من العظام .....

ـ إن الحاقد يمتلك مثلنا رئتين جعل واحدة للتنفس والأخرى قبراً مُظلماً لحقده .....

ـ امتلك مكارم الأخلاق ..... فضلاً من أن تحفظها ..... وترددها .....

ـ كانت سعيدة جداً عندما أخبرتها أن ابنها كأخي الصَغير تماماً..
ولكنها باتت تبغضني عندما قلت أنها مثل أمي .....

ـ البرق والرعد ..... تنهيدة وآهة ..... من قلب سماءٍ باكية .....

ـ إذا جلست بين الأطفال ..... أكون صغيرهم
وإذا جلست بين الكبار ..... صِرت حكيمهم .....

ـ دائماً التجربة الناجحة ..... تتغذى بضحايا فاشلون .....

ـ جميع الخلائق تعترف بالحق وتؤمن به ..... لكن حتى الأنبياء غير قادرين على تجسيده فعلياً ..... ((لا يُقصد الحق إلا نقيض الباطل)).

ـ المرأة ضالتنا التي ننشدها لسنين ..... وعندما نصل إليها نجتازها كبقية الأشياء .....

ـ إذا كانت أقل النسمات تسقطك ..... فلماذا تجابه الإعصار؟ .....

ـ عندما عُدنا من رحلتنا المعتادة بقصد الصيد ..... وبغية إثباتنا نزواتنا فقط أننا كائناتٌ لاحمة ..... كتبَ أحد كلابنا الصيادة في دفتر مذكراته اليوم ..... قد أتممتُ جولتي حول العالم .....

ـ بات الفرق بين من ترتدي الحجاب ومن تسير بريع الثياب ..... متر واحد من القماش .....

ـ البخيل ذلك الذي يبني مئة غرفة ويقفلها ليعيش وأبناءه وأحفاده في واحدة منها.. والكريم... ذلك الذي يبني غرفة ويجعل من الدنيا مسكناً له...

ـ إن الوحدة كافية أن تعلم التفكير... كما كثرة المال تُعلم التبذير..

ـ كان أحد الأجساد المتخاذلة الكسولة يصعد راغماً إلى جبل شاهق فقال مخاطباً الروح التي تسكنه ..... أفلا تطيرين أمامي فتخففي حملاً عني في مسيري ..... فقالت له ..... سر أيها الكسول فهذه الطريق تسلكها أخواتك الفيلة في كل يوم .....

ـ إن قطعت شجرة.. فأنت تقتل إحدى شهود الآخرة من الحياة الزائلة..

ـ أحببت السجن ومن فيه ..... لكني كرهت هذا الباب لأنه ..... يفصلني عن الحُرية

ـ الكبرياء.... نسرٌ عظيم.... يحلق في فضاء النفوس فلا تراه الأبصار.... بل تدركه في سموه الأرواح.. والتكبر .... فيلٌ أيضاً عظيم..... يدعي الطيران بواسطة أذنيه .....

ـ إن صمتي لأشبه بالغواص الذي يستخرج اللؤلؤ من أعماق الناس

ـ قال لي صديقي الموت ..... لا تتمسك بكل أيامك ..... ففي رحلة موتك حياة أخرى .....

ـ لا تضرب أخيك الحيوان.. فأمام اللّه قد توضعون في نفس الميزان....

ـ يقولون لي ..... ليس كل ما يلمع ذهباً ..... وأقول .....
ليس كل ما يلمع ..... أدباً .....

ـ توقف أيها الرجل الأبيض.. فلستَ أفضل من الفحم في صنع الألماس

ـ المدخن ..... شخص سئم من الحياة السليمة وهوائها النقي .....
فراشة أعماها الدخان فهربت إلى نار النور .....
إنه ذاك الكريم السقيم الذي يطعم النار ماله وقلبه وقصبته... فدعوه..

ـ ما أكثر الحكماء ..... وما أقل الممتثلين .....

ـ الجاحد.. كالقطة التي تغمض عينيها.. كي لا ترى اليد التي تُطعمها

ـ الطموح ..... وما أشبهه بتلك الشجرة التي تُقطع ..... ثم بعد فترة تنبت فلسات صغيرة على الجذع المقصوم .....

ـ الخيالي يقول ما في رأسه ..... والكذاب يقول ما في نفسه الكاذب يقول ..... البيضة عندما تكبر ستصبح بحجم الجبل والخيالي يقول ..... البيضة بصغرها قد تشبه الجبل .....

ـ عندما كسرت بزرة الزيتون وجدت في قلبها ..... شجرة .....

ـ الأنبياء ليسوا سوى عَبيد كسّروا الأغلال من أيديهم.. فتحررت نفوسَهم..

ـ الحب ..... عاصفة ساكنة ..... تُشعل ..... تغتال وتقلب المجرات وفي لحظة ..... تحول ملح البحر إلى سكر

ـ نعمة الحياء ..... تبعد البلاء .....

ـ الروح والقلب تحتلهم امرأة ..... والجسد جثة تنهشها الغربان .....

ـ الخطيئة تعشش في جوفنا ..... تستيقظ في نومنا ..... تؤرقنا ..... وبألف مطرقة ..... توقظنا ..... لتحرقنا ..... وتذكرنا ..... بحقيقة في عقلنا وقلبنا باتت ..... مثلنا ..... نائمة .....

ـ ما أَلذ تلكَ اللحظة التي كسرتُ فيها الأَغلال ..... وسَمحتُ للحب مرةً أخرى أن يُدنسَ طُهرَ قلبيْ .....

ـ الحب ..... بحرٌ عظيم من السهل العوم فيه ..... ولكن من أصعب الأمور ..... الوصول إلى الضفة المرتجاة .....

ـ يموت الفلاسفة باكراً لأنهم يستنفذون جزءاً من روحهم ..... في كل حكمةٍ تُكتب .....

ـ متى كانت الأقلام معاولاً ..... تحفر لحامليها القبور

ـ العانس... نجمةٌ بعيدة لا تُرى.... ومع الأيام .... تتحول إلى نجم.....

ـ الحب دين ..... أنبيائه ورسله..... ملوك الشعر والقوافي .....

ـ صراخكِ الضعيف... بالخطأ... بالخطأ.... بالخطأ.... باتَ لا يُسمع

ـ ترنم مثل العصفور على كل الأغصان... وأظهر كل ما لديك من مواهب... فالدنيا سيسودها الصمت إذا لم يُنشد فيها سوى صاحب الصوت الرخيم..

ـ الذنوب والخطايا حملٌ تنوء بحمله الأرواح.. تعجز عن رفعه الجبال..

ـ قال لي السيد المسيح قبل العشاء الأخير بيومين ..... في كل زمان ومكان يولد رجلٌ يسلمني ورجلٌ ينكرني ..... وثالث يصلبني .....

ـ وما أجسادنا سوى ..... قوتٌ للحياة في استمرارها .....

ـ من باحت له الرياح عن سر الفلاح والشجرة والطبيعة والفصول

وعـن حكايـة الـشاعر والقـصيدة والزاهـد والتقـوى ..... ابـتلاه اللّه بـداء الحكمةِ ..... أو الجنون .....

ـ الشاعر ترجمان لكل الأحاسيس المبهمة اللامرئية .....

ـ كتـب أحـد المجـانين لوحـة وعلقهـا علـى صـدره ..... مفادهـا ..... اتبعوني أيها الحكماء .....

إلى مثواكم الأخير .....

ـ إن النـسـاء أكثـر بُطئـاً في الانتفـاع الكامـل بقـوى الإغـراء ..... الكامنة في مجمل الألوان ..... فترفقوا بهم .....

ـ إن حُكم الجسَد صَالحٌ كحكم العقل والقلب .....

ـ قد تكون النساء أقل أنوثة ممّا يتصوره الرجال... ولكن ليس هناك رجلٌ فيه من الرجولة قدر ما تضفيه عليه المرأة في أحلام يقظتها....

ـ كل امرأة تعرف عن الحب أكثر مما يعرفه أي رجل في الكون...

ـ تجد المرأة أن القبلة الواحدة تحوي من الإجابات ما لا يجده أعظم الحكماء في شهر تفكير وتأمل .....

ـ عنـدما تجولـت في حقـل القـرع والـيقطين القريـب مـن بـيتي قالـت إحدى اليقطينات اليانعات.. بربك ألا يوجد ما هو أسوء مني فوق أكتاف

بعض البشر..؟

ـ إذا سَمعتَ شخصاً يتفوه بأشياء غريبة لم تفهمها ..... فذاك هو المجنون وإذا سمعت شخصاً يتفوه بأشياء غريبة ولم تفهم سوى نصفها ..... فذاك هو الفيلسوف .....

ـ تلك الآثار القديمة المائلة أمامنا ..... ما تزال صامدة في وجه الزمن لعلها تجد في زمننا السريع هذا ..... النهاية السعيدة لروايتها الطويلة .....

ـ إذا كان أحدهم يتكلم في نومه فذاك لأن جسده مقهى تلتقي فيه نفسه مع صديقاتها النفوس.

ـ إن من ترتدي الثياب القصيرة والشفافة وفي هذا الازدحام لديها نزعة تُسمى ..... ورقة التوت .....

ـ دائماً نجد الحكماء يقولون أشياء كل الناس يعرفونها في دخائلهم ولكنها ..... لا تجد الطريق السوي لألسنتهم .....

ـ إن الأشخاص الذين يقومون على خدمة منازلنا ..... هم أقدر منا جميعاً على خدمة أنفسهم .....

ـ ما أصغر الإنسان ليكون ذلك الشيء الذي يقوم على اكتشاف الأفلاك..

قال ثرثار ..... كم تمنيت لو أن الصمت يمتلك لسان ..... لجعلته يعلمني شيئاً مما يقوله هؤلاء الحكماء .....

ـ خُلقت الحكمة السهلة القريبة للقلب والعقل ..... فرفضها بعضهم لأنها سهلة وقد يقولوها أي إنسان عادي .....

فوجدت الحكمة الصعبة فرفضها بعضهم لأنها صعبة ولا يقولها أي إنسان... فهل من لا يرى الأبيض والأسود... قادر على رؤية الرّمادي ؟.....

ـ بعض الأجساد باعت نفوسها ..... لتحيا يوماً بالأثمان ..... ؟

ـ المتشرّد ..... ابنٌ للدنيا ..... بالتبني .....

ـ إن من يسرق بيضة... يسرق جملاً ... لكن من يسرق جملاً.... لا يمكن أن يسرق البيضة

ـ إذا أَطلتَ دفن رأسكَ بين دفتي الكتاب ..... تُصبح ورقة .....

ـ في خلوتي بين الجبال في ذاك الكهف الأسطوري ..... أَدركتَ أُذناي وأخبرتني بأن ذلك المؤذن يغني ببراعة أكثر لو رافقته موسيقى أجراس الكنائس البعيدة .....

ـ قالت جدتي والدة لقمان الحكيم ..... يا حفيدي ..... قد أعطيت أباك كل نصائحي إلا واحدة تعلمتها منذ فترة بسيطة وسأقولها لك .....

(وجلستُ.... وأنْصَتُ.... وقالت.... إذا كنت يا بني على شيء من ذكر الله فلا تأتي بالفحشاء على لسانك.... وإذا كنت في غفلة عن نفسك وذكرت الفحشاء.... فسارع لذكر الله.... وصن لسانك).

ـ ما ذنب الفيلة إذا قادها ..... أبرهة ..... ؟

ـ قبل البدء بأي عمل أو مشروع ..... تمسك جيداً بحبل الأمل والتفاؤل ولكن إياك أن ترسم خطةً للنجاح .....

ـ اكتفي بنعمتك يا إنسان وسر بنور الشمس ..... ولا تقرب منها .....

ـ عندما ندعو الله تأتينا الملائكة .....
وعندما يدعونا الله ..... تذهب إليه أرواحنا .....

ـ عندما دخلت إلى أحد القبور الفرعونية القديمة ..... رأيت جثماناً مُحنطاً وقد بُترت يداه ..... ووجدت ورقة كتبَ عليها أحد الآلهة بنوره .....
لا تظلموا الأجساد ..... بذنب الأنفس .....

ـ لا تشتري حُزناً ..... لا تعلم أين تضعه .....

ـ الكاتب مثل الشجرة ..... يُستعانُ به ولو بعد موته

ـ عندما تركني أصدقائي وحيداً اهتديت إلى الصمت... وتعارفنا وتصادقنا وأهداني الكتاب.... وعندما فتحته وجدت فيه خيراً من خير الأصدقاء...

ـ المتشكك..... لا يقين ثابتَ لديه ..... فاعذروه .....

ـ في هذا العصر..... يُستساغ الاحترام ..... من الانحناء فقط

ـ لا تساعد الآخرين بحمل الهمّ معهم.. ولكن ساعدهم بإزالته عنهم.

ـ ما رأيت عبداً يخدم حُراً ..... ولا حُراً ..... يخدمُ عَبداً .....

ـ ألقيت في إحدى المحافل قصيدة شعر لأحدهم ..... فوقف مختالاً وقال: نعمة من اللّه أن يحفظ الناس أشعارك قبل أن تحفظها أنت ..... ولهذه الساعة عَييت أن أعرف ..... كان مدحاً أم ذماً .....

ـ ما العيب في أن تخاف أرواحنا على الأجساد التي تسكن أو ليس الخوف منقبة محمودة ..... ؟.....

ـ تأثر للمنظر الجميل وقلده..... ولكن إياك أن تكون منظراً متقمصاً لأحد.....

ـ المطالعة..... بوابة ضخمة لدنيا المعرفة .....

ـ أنت الخاطئ..... فاستغفر ولا تلعن .....

ـ إن ظروف الإنسان والضغوط اليومية قادرة على تكبير الدنيا أو تصغيرها..

ـ ليس كل ما يتمناه العاشق يُدركه .....

تجري الدماء بما لا تشتهي القلوب .....

ـ ويلٌ لأمةٍ مات فيها حكيمها وشريفها ..... وضمير حاكميها

ـ عندما رأيت أحدهم يُمسك بكتابي ..... لا أدري كيف ظهرت لي جذورٌ وأغصان ..... وأوراق ..... فأغمضت عينيَّ ..... وأحسست بشعور كل الأشجار في موسم القطاف .....

ـ حتى الفشل يكون سيداً ..... عندما يُبددُ أوهامنا .....

ـ لا تحفر جورة في وسط الطريق وتقول أنك مزارع .....

ـ الملل ..... حركة عشوائية للنفس المطمئنة .....

ـ عندما كنت فارساً في بلاط الملكة زنوبيا ..... ملكة تدمر ..... سألتْ يوماً من منا نحن الرعية المقربون يكره الكتاب.... ولم يكن الكتاب صديقي ولا يعنيني أمره.... فوقفت مختالاً كرمح وقلت بفخر ... أنا يا ملكة الشرق فنظرت إليّ برهة وقالت بهدوء.... اجلس.... فقط ..... لكني قرأت في نظرتها المستهزئة بكل فخري واعتزازي .....

لماذا تعيش في ظلام ..... ما دام النور خلف الباب .....

ـ أيها الآباء والأمهات ..... المراهق طفلٌ حديث الولادة ..... كونوا له التسلية المفيدة .....

ـ المراهقة.. أنثى لفظاً.... وذكراً متشرد فعلاً..... يؤمن بكل خرافات تفكيره ومزاعم جسده وإيمانه المطلق ليس اللّه... بل أحلام اليقظة...

ـ قالوا لي.. من جَدّ وجّد.. فاجتهدتُ وثابرتُ.. ووجدتُ من يسرق ما وجدتْ..

ـ اصنع عكازاً قوياً صحيحاً.... يحملك يوم تكون غير قادر على صنع شيء .....

ـ لم نستطيع تحديد يوم عيد لأولئك المسرعين في سياراتهم ..... ففي كل يوم يسقط منهم شهداء في عالم الطيش والتهور .....

ـ هل يتفوق سلاح العلم على سكوت الكون وصمته .....

ـ قالوا لي ..... إذا أردت أن تصبح كاتباً وأديباً في بلاطنا ..... يجب أن تنتسب إلى مجلس الشيوخ والكهنة أولاً .....

ـ اشتريت ورقة يانصيب منذ يومين ..... ورفعتها إلى نور الشمس .....
فقرأت من خلالها عبارة .....
ورقة رابحة ..... تخولك دخول الجنة ..... دون حساب .....

ـ الصرخة ..... تعبير ينقله الجسد ..... ليخفف آلام الروح

ـ زرتُ قوم في إحدى الأيام ..... فرأيت جماعة تجلس بقرب رجلٍ مريض ينتظرون موته ..... مرت الأيام والشهور والسنين وهم ينتظرون.....

وفي كل سنة كان يموت منهم واحداً أو اثنان .....

وبعد عشر سنين لم يبقَ أحدٌ منهم حتى ليدفن ذلك المريض بعد موته.. فأرسلَ اللّه غرابان.. حفرا له قبراً صغيراً... بعد أن صلّوه... بسلام..

ـ ما أغرب زمناً فيه رصاصة صامتة ..... تقتل (جمل) حَكيم .....

ـ إذا أكلتَ ثمرة عجراء تُشعرك بطعم غريب تستسيغه من غضب أمها الشجرة .....

ـ تنفس كما يحلو لك.. لكن بهدوء لأن غيرك بحاجة إلى الهواء النظيف

ـ شَطَرتُ الغيرة بسيف الحكمة إلى قسمين... وأطلقت على كل منها اسماً اخترته بدقة من مكتبة أحملها فوق أكتافي.. وعند المساء رأيت الغبار يتصاعد من أمام منزلهما.. وكل واحد يريد اسم الأخرى... لها..

ـ لن تُحسَ بكرم الشجرة ..... إلا إذا كنتَ مثلها معطاءً

ـ جاع في حينا القديم مئة رجل فأطعمتهم امرأة ..... وما كاد قدرها يفرغ حتى امتلأت بطونهم .....

وجاعت امرأة في حينا القديم ..... فأكلت كل الرجال ..... ولا زالت تقول ..... مفتاح المرأة ..... رجلٌ واحد .....

ـ النجاح الحقيقي دائماً يختبئ خلف جبل من الصعاب

ـ عَجبت لمن يكره الروتين ويمقته ..... كيف يستنشق الهواء ..... وكيف يتناول ثلاث وجبات طعام يومياً .....

ـ ذكر أحدهم نصف مساوئي ليُكمل نقصاً في فضائله ..... فقلت إياك أن تذكر محاسني ..... لأنك لا تمتلك مكان تضعها فيه .....

ـ عندما زرت المغرب العربي سُحرتُ بجمال طبيعته وكرم أهله وبشاشتهم ولكن أكثر الأشياء التي رأيتها وبقيت مائلة في مخيلتي ..... طفلٌ لا يكاد يعرف عن المشي إلا القليل ..... يسيرُ حافي القدمين ويقود خلفه أضخم جملٍ رأته عيني على الإطلاق .....

ـ كنت عندما أستيقظ صباحاً أجد على طاولتي قناعاً للسعادة وآخر للحزن ولكني اليوم استيقظت ولم أجدهم ..... فخرجت بوجهي العاري وقابلت الناس وكل الناس الذين أراهم يومياً بأقنعتي .....

ولكن... لم ينتبه أحدٌ لمروري.... حييتهم ولم يجب أحد منهم تحيتي... فعدت راكضاً إلى بيتي.... أبحث عما يرضي الناس من أقنعتي...

ـ لا يقلع أحدهم عن عادة إلا إذا ابتكر بديلاً عنها أولاً.

ـ أنا مستنير والشمس المنيرة.... ولكني اليوم اكتشفت أن الشمس مثلي من اللّه.... مستنيرة.....

ـ لو فعل كل إنسان بالمعنى الذي يتخذه اسمه فقط ..... لحلّلا قضايا البشرية جمعاء .....

ـ اختلف سكان الشرق مع سكان الغرب على ملكية ماء البحر فقسمنا البحر بخيط مناصفة بين الطرفين.. وفي غمرة الليل وجنّة سكونه كان هناك بعض الطامعين ينقلون الماء من نصفنا... إلى نصفهم..

ـ عندما يضيق نطق الحكماء.... فإن أفكارهم... في حالة الجزر....

ـ حنيت رأسي أمام ذلك القوي الذي ينشد سلام الضعفاء أولاً .....

ـ دائماً أجدني أفعل بعض الأشياء التي ربما لا أقوى على قولها

ـ الوحدة.. حلول وتفكير.. تعمير كونٍ واسعٍ... تعيش فيه وحدك.. وربك

ـ إذا كانت تلك النحلات تحط على الأزهار لتأخذ الرحيق منها .....
فماذا تفعل تلك الزنابير الحمراء هناك .....

ـ النوم هو أن تتمدد كيفما شئت.... وأما عن حالة اللاشعور تلك فهي الحلم وتجوال النفس بين صديقاتها النفوس .....

ـ هَاجرتْ تلك الحمائم البيضاء أعشاشها وانتقلت إلى أعالي الجبال هرباً من أولئك الذين يصطادونها ويعلقون جثمانها ..... عنواناً للسلام .....

ـ وما الأرق إلا حالة عصيان من النفس على الجسد وأسمعها تقول...
نم أنتَ إذا شئت ..... وأما أنا فَمُعجبة باستيقاظي .....

ـ الجبان كائن لا يشعر بالظلم ويعتبر ذله وخنوعه..... صبر وقوة

ـ إذا حذفنا كلمة (لو) من كل اللغات .....
لفتنت عين الناظر بكل ما ترى

ـ عندما ولدتُ في الدنيا أحبتني... وزوجتني بنتها الحياة... وأحبتني أكثر... فأغدقت عليّ بعطائها... قمر ونجوم... هواء وماء.... كنت العريس الذي ولد وفي فمه.... قلم وصحيفة من ذهب..... وعندما كبرت أكثر.... زوجتني لبنتها الشمس ومنحتني نوراً دافئاً ذهبياً أسترشِد به... وسمحت لي بأن أتزوج ثالثاً... ورابعاً من جنسي... فما أكرمها من دنيا...

ـ عجبت لمن يأكل الجمل ويبخل في أن يعيرنا أُذن من أذنيه .....

ـ قرأت كتباً كثيرة... ودفعت الثمن غالياً جداً.... نصف نظري...
ولا زلت أقرأ لليوم من أجل النصف الباقي عندي .....
فأنا من قبل مقايضة البصر ..... بالبصيرة .....

ـ ثلاثة لا يعون ما يأكلون ..... الجائع ..... والخائف ..... والحزين

ـ قال لي أحدهم.... كيف تستخرج الحكمة من فم الحياة ..... فقلت له ..... أذهب إلى جارنا وأنظر كيف يُخرج الزيت من الزيتون ..... وزرنا في البيت لترى كيف تستخرج أمي الزبدة من الحليب .....

ـ بين السجن والحرية ..... جهادٌ مرير

ـ كنت أعمل لدى رجل صارم في حداثتي... وكان له ابن يصغرني

بسنتين أو ثلاثة... وكان يزورني دائماً في مكان عملي... ولفت نظره أن لي ميلاً للقراءة... فأخذ يسرق الكتب من خزانة أبيه ويأتيني بها تباعاً وكلما انتهيت من الكتاب أرسل له مع أبيه... قد فرغ قِدرك وأكلت كل ما فيه... فيأتيني في اليوم التالي بكتاب جديد ويأخذ الذي قرأته...

ـ أنت تنظر إلي فلا تراني ..... وأنا ماثل أمامك ..... وانظر إليك ..... فأرك وأنت غائب عني .....

أنت تنظر إلى جسدي ..... وأنا أنظر إلى نفسك .....

ـ إن كلمات الإطراء والتقدير لعمل ما... هي أقوى الدوافع لإرادة فعل الخير...

ـ في مساء ذلك اليوم قررت الزواج ..... وكان هذا آخر قرار يُسمح لي باتخاذه ..... وحدي .....

ـ عندما كنت نبياً من المختارين وذلك منذ عدة قرون... كنت أجلس في وسط الساحة الترابية في المدينة الكبرى... أعظ الناس وأحضهم على فعل الخير... وأمسح ظلمة أبصارهم ليدركوا أنهم بعلمهم جاهلين.... فيظفرون بنور بصائرهم... حَدثَ أن جاء إليّ احد التجّار ومعه صانعه مكبلاً وقال لقد سرق هذا الغلام مالي وقد أشرف على إتقان صنعتي.... فقلت له وأنا أحل وثاق الغلام... إنه لم يسرق مالك.... بل سرق مفتاح الأمانة الموجود في جيبه ورماه في أعماق النهر.... فضحك التاجر القانع ومضى.... وبقي الغلام أمامي لبرهة ثم رفع رأسه الذليل وقال.... صَدَقتَ أيها النبي

الكريم... قد رميته بطمعي وأنا اليوم تائب ولكن كيف لي أن أستعيد مفتاحي... فقلت: بما أن كل الأنهار تصب في البحر العظيم.... فعليك أن تبدأ منذ الغد بصيد السمك منه علك تظفر بسمكة الثقة... وتجد في داخلها... مفتاحك المفقود...

ـ إذا كنت لا تحتمل الألم.... فلماذا تمنحه لغيرك ؟.....

ـ ليست الأنانية في أن يحيا الإنسان كما يشاء ولكنها في أن يطلب المرء إلى الآخرين أن يعيشوا كما يريد هو أن يعيش .....

ـ الحب ..... ليس غاية في ذاته ..... بل هو وسيلة لغايات عديدة .....

ـ إذا أردت أن تبلغ السعادة مع المرأة ..... فعليك أن تحبها كثيراً ..... وتنصرف تماماً عن محاولة فهمها .....

ـ إن أُوقية من الذكاء البديهي ..... تعادل طن من التعليم .....

ـ حتى العيون الخضراء غير قادرة على رؤية الطبيعة إلا كما تراها العيون السود .....

ـ قد تبدو الشمس للأصلع ..... ثلاث شموس .....

ـ ترنح ذاك الكائن المختار بدافع لا إرادي... ليندس بجوف دافئ مبتكر... فنهض الطاهي الخيالي الكبير.. وبدأ بتحضير الوجبة السحرية.. الموجودة والخفية .....

وضع في فرن الروح الباطنية... المكونات... وهي الأماني والأفكار.... والاحتمال والمستحيل .....

وفي غمرة الليل... تم نضوج تلك الوجبة الليلية... وكانت الوسادة... الشاهد كالعادة... على ذرف الدموع... وصَوت الفرح... وهمس الآه... والتنهيدة...

ـ أيها الرجال لا تُطفئوا تلك المنارة العالية ..... فقط دعوها ترشد السفن الضالة .....

ـ الوحدة والصمت يُعلمان الشعر والأدب والإلقاء الفصيح .....

ـ نظرت إلى وجهي في مرآة صغيرة مدورة.. فرأيت.. يوحنا المعمدان.....

ـ ليلة البارحة قام بعض الجائعين بافتتاح مطعم فخم في وسط المدينة الأزلية ..... وعمّت الاحتفالات كل البلدة وعلقوا على صدره النياشين والنجوم التي لا تحصى ..... فأغراني تناسق ألوانه ..... فدخلت ..... وجلست على مائدة تتسع لإطعام مئة شخص لكني لم أتناول شيئاً لدهشتي مما رأت عيني ..... وهممت لأنصرف إلى شؤوني ..... فتقدم أحدهم إليّ بابتسامة مشرقة كالصباح ووضع أمامي فاتورة تفوق كل ثروتي وثروة أبي وجدي ..... وقبل أن أعترض ..... رأيت نفسي ممرغة بالتراب يدوس عليها الداخلين والخارجين ..... وجسدي الهزيل مصلوب على الباب ليكون عبرةً .....

فأخذت عيناي تراقب جميع رواد هذا المكان... ونادت عليّ نفسي الممرغة وقالت الآن أدركت أن هذا المطعم لا يستقبل الجائعين... أصلاً...

ـ الطموح طريق لأي هدف وكلما كثر في نفسنا قلَت المسافة للوصول

ـ الجسد كتابٌ مُحتواه الروح والأخلاق والقيَم.

ـ لا تضرب شخصاً على وجهه ولو كان مُذنباً ..... حتى إذا ما مثل أمام اللّه يوم الآخرة ..... لا يراك فيه وتُعاقب بذنبه أنت .....

ـ ما أضخم الذنب الذي لا تُمحيه الصلاة .....

ـ تزوج تلك الشجرة ..... وانسَ أمر الغيمة .....

ـ عندما كنت أتمشى وأتأمل ليلة البارحة في إحدى الغابات الواسعة.. حَدث أن رأيتُ شخصاً ضعيفاً... يحاولُ الإمساك بحيوان ضخم ..... ويكاد الحيوان أن يسحبه خلفه.... وكان يشده بحبل متين.... ويبذل كل جهده للإمساك به ..... ورأيت خلفه أصدقائه الكُثر يُمسكون بطرف حبل ليساعدوه ..... وعندما وصلتُ إليهم رأيت أن حبلهم مربوطٌ إلى جذع شجرة ضخمة وجميعهم مُغمضون أعينهم.. بل ويحلمون أيضاً....

ـ البيت الذي لا يدور فيه حِوار ..... يكون قبراً .....

ـ قالوا لي إذا أردتَ الشهرة والأضواء.. فاكتب هجاءً بالملك فصدقت.. وهجوت.... فقطع الملك رأسي وتتدحرج بين الأرجل وأمام كل الرؤوس الصامتة.. وأما عن تلك الأضواء والشهرة فهي غير قادرة على إعادة رأسي..

ـ يجب أن تُحب كلابك... بقدر ما تُحبكَ هي.... لكن لغير هدف .....

قال لي أحد الأغبياء ..... إن الذكاء والمعرفة بختٌ وحَظ يهبهم اللّه إلى أي إنسان يُريد.... ولم يكن بوسعي إلا أن أصدقه وآتي له بالبراهين.

ـ إن قتلنا كل الشياطين... فما حاجتنا لأولئك الخطباء والقساوسة؟

ـ لا تحقد على ذاك الذي يؤذيك من غير سبب..... لأنّك لو جَلستَ وحَللتَ ما بنفسه وقلبت مشاعره وأحاسيسه ..... لوجدت مئةَ سبَب

ـ الحكمة فعلٌ ..... وليس قول .....

ـ في حداثتي كانت تتركني نفسي وتجوب وحدها في رحاب الليل العميق... وفي إحدى الأيام كانت في أوج سموها تسير فوق الجبال ..... حَدث أن ظفرت بالصمت جالساً وحده ..... فأغرقها كآبته ..... اقتربت منه وحَنت عليه فمد يديه كطفل صغير ..... كان وحده هناك ..... يمر الناس ..... فلا يلحظونه لسكونه ..... ويومها عادت نفسي إليّ ومعها ضيف ..... فدخلا معاً إلى بيت رأسي ..... وفي تلك الليلة قبل أن يرحل ..... بنينا معاً أول أبراج ..... الحكمة ولغاية اليوم عندما أجد أنني بحاجة لبناء قليل من الأبراج ..... أزوره ..... جسداً وروحاً ..... في مكانٍ ما على قمةِ جبله الشاهق .....

ـ أُقتل فيلاً ولا تحرق نملة ..... لأن اللّه وحده موكول بالحرق .....

ـ وقفت أمامي وهي تسير بسرعتها البطيئة ..... ونظرت إلى ما بقي مني بعيناها العمياء ..... وحاولت أن تقول لي بلسانها الأخرس ..... أن قلبها

الحجر يُشفق بقسوته عَليّ ..... ويريد إحساسها البارد أن يمنحني بعض الدفء وأن الحقد والكره والبغض المجتمعان في صدرها المتغرق لا زالا يُحيانِي ويطلبان ويرجوان بكل التكبر الموجود على الأرض أن أعود ملكاً عليهم ..... وعبداً لهم ..... وتسقط من عينها دمعةٌ تعانق جبينها ..... وتصرخ بصمتٍ مدقع أحبك.... أقسم بكل كرهي لك ..... أُحبك .....

ـ عَرض أحد الشعراء كتابه الجديد على إحدى دور النشر ..... ذات الكعب العالي ..... فقرأ المحرر صفحة أو اثنتان ..... وأغلق الكتاب ثم كتب اسم الشاعر عل ورقة صغيرة وأودعها مع مثيلاتها أحد الأدراج الضخمة وقال ((بعد موتكَ)) يا صديقي ..... أعدك بأننا سنعقد اجتماعاً نراجع فيه كل ما كتبت ..... علّك تحظَ بتكريم .....

ـ قرأ أحدهم ما كتبت وقال: من أين تأتي بهذه الحِكمَ يا هذا فقلت له يا سيدي... الحكمة ليست حِلمُ يقظة ولا حلمٌ ليلي نترجمه صباحاً على أوراقنا.. الحكمة تجربة طويلة... وفعلٌ يشاطرك به الآخرين

ـ كنت في إحدى الأيام أقف أمام المذبح ..... أكسر الخبز وأشرب الخمر ..... جاءني رجلٌ وعليه علامات الخوف ..... وقال ..... يا سيدي أخبرك برؤية قد جاءتني ..... وأطلب من قداستك لها تفسيراً ..... فنظرت إليه ولم أجب بشيء ..... فأكمل وقال: رأيت السيد المسيح وحَدثني وكان صوته مرتفعاً جداً لدرجة أنني لم أفهم ما قال لي ..... وعندها قلت له: تخلف عني يا هذا... إنك ذلك الذي يرى الحق ولا يقوى على قوله....

ـ إن أولئك الناس المتعصبين والمتشددين لهم أفكارهم التي تنحدر بنا إلى الأسفل نحو الظلمة ..... بدلاً أن توجهنا إلى نور السماء .....

ـ إن لكل كاتب أو شاعر قضية مُعينة... يُفني نفسه لإثباتها وتأكيدها ..... وأما هؤلاء الحكماء والفلاسفة المساكين فعليهم إثبات وتأكيد القضايا الإنسانية والكونية والربانية جمعاء .....

ـ العطش قسمان... واحد للماء والثاني للمنال غير المحدود في كل.... كل شيء .....

ـ أعطاني حاسدي بيضتين ..... وعندما هممت لآكل الأولى قال لرفاقه: رب أخ لك لم تلده أمك ..... فدفعت إليه بهما وقلت: ما دام هذا البيض يصنع الأخوة ويقيم المودة ..... فمعدتك أولى به .....

ـ سُئل أحد الحكماء عن مِقدار علمه من علوم هذا الكون ..... فمشى إلى جانب جبل كبير وحفن بيدٍ واحدة قليلاً من التراب وقال: أَقيّمة بهذه ..... من هذا .....

ـ كان لأحد أصدقائي كلبٌ صغير يصطحبه معه في رحلات صيدنا وكان كلما اصطاد شيئاً يحمله كلبه ويأتي به إليّ ..... فجُن صَديقي وأبرح الكلب الصغير ضرباً ..... وبعد قليل اصطاد صديقي عصفوراً ..... فركض الكلب إليه وبدأ يلتهمه بعيداً عني ..... وعنه .....

ـ المؤمن يُوجه بالدعوة ..... والكافر يوجه باللعنة .....

ـ جاءني أحدهم إلى خلوتي اللذيذة وقال:

أيها الناسك الزاهد الراهب.. قد جاء إلى الدنيا كثير من الأنبياء وكثيرة هي المذاهب والكتب... فأيهما أنت تتبع؟.. فقلت يا بني.. أنا مسيحياً مُتعمداً بالنور... صدقت التقمص وآمنت به... وحفظت حكمةُ التوحيدية.. عائلتي هم فاطمة وأباها... زوجها وولداها وأسير وأتكئ على عصى موسى.. لأعلم الناس الوصايا العشرة وأدعوهم للزهد والتصوف..

ـ لكني يا بني أتبع نفسي فهي القادرة فوق قدرتهم جميعاً على إيصالي لملكوت الله ..... وجنته .....

ـ دخل ذلك الشاب وصديقه في ذات يومٍ إلى دار للنشر وقد حمل بيده كتاباً صغيراً.. وعندها قال صديقه المدّعي: إني أرى كتابك هذا لأشبه بالقصة القصيرة.. فأطبق الشاب الطموح على صمته وهدوئه... وعندما قرأ المحرر كتابه قال: بما أن المعاني كبيرة وعديدة.... لا ضير في أن تكون المباني قليلة... ولما خرجا كان يهرب المدعي بنظراته الحائرة منه.. وأما عنه فقد حنا رأسه قليلاً.. لئلا تُبعثر أنفاسه.... صديقاته الغيمات...

ـ أطفالنا الصغار ..... آلات تسجيل دقيقة .....

ـ يقولون لي ..... الدنيا زائلة ..... وأنا أقول ..... الدنيا باقية للأحياء وزائله أمام الأموات ..... وإلا لما واكبنا شيئاً يُدعى ..... التطور .....

ـ منذ ألف سنة انتقلنا من منزلنا القديم ..... إلى آخرٍ جديد ..... وكانت كل أمتعتنا في وسط البيت كالتلة ..... وكنا نقوم جميعاً على

ترتيبها فوقع بيدي كتابٌ لم أره مُسبقاً ..... وجلستُ لبلادتي أقرأ ما فيه وكنت كلما قرأت صفحة أقول: إن من كتب هذا لهوَ فيلسوفٌ وصَاف أو شاعرٌ رصاف ..... أو حكيماً مُجرباً .....

وعندما وصلت إلى الصفحة الأخيرة قرأت: (((نبذة عن حياة راعي فأغلقت الكتاب وإذا هو يقف أمامي ويقول: أتسمح لي به يا سيدي فقد كنت أدون عليه مذكراتي اليومية... فأخذه من يدي بعد أن ملأ عقلي بسحابة أفكارٍ... لا تنتهي...

ـ بنيتُ العديد من أبراج الحكمة... فلاحظت اعوجاجاً وتلفاً في أحدها.. وعندما فتحت أبوابها المهلهلة وجدتها... أقوال وحِكم ضد المرأة..

ـ لا يشعر بحرارة الشمس وسكون الليل معاً ..... إلا من يُحب

ـ كان هناك في بلدة النور ..... حاكمٌ عظيم يُدعى ((أوزيسيوس)) وقد تسرب لمسمعه عن وجود حانة يجلس عليها السكارى ..... والمعربدين ..... فأمر بإغلاقها وشنق كل مُرتاديها ..... إرضاءً للاتِ والعزة ..... وبنى فوق دمارها مجلس دين ..... يحض الناس ويعلمهم ويزرع في قلوبهم إيماناً بالحجر المقدس ..... وحدث يوماً أن مررتُ من أمامه فرأيت على درجاته القليلة رجلاً ..... وامرأة فاتنة وكل منهم تأخذه صفنةٌ وصمَت ..... فنظرت فوقها ..... فرأيت ملاكاً جداً صغير ..... يُقاتل مئة شيطان كبير ..... فقلت بسري ..... مساكين هم الملائكة ..... في دنيا الشياطين .....

ـ إذا كنا نقول في لغتنا الأم ..... جمع خُلد ..... مناجد .....

فحري بنا القول: مفرد معاول ..... أرنب .....

ـ رفض مجتمعي فتاةٍ أردتها زوجة... وبدأتْ شياطينهم توسوس في أذني... عن الكمال المستحيل والعلم والبساطة والسذاجة... وآخر الأمر ... جاءني رجلٌ ((له ابنة يُريد تزويجها)) وهمس في أذني: كيف تتزوجها وهي ابنة زانية؟... ألم تسمع المثل القائل: ((طب الجرة على تمها... بتطلع البنت لإمها)) فتركته من فوري ودخلت إلى إحدى الغرف وقلبت أكبر جرة فيها على فمها... فرأيت ابنة زانية تائبة فأتممت مراسم الزواج ..... وأنجبنا أطفال كبروا ..... وأصبحوا ملائكة... وأنبياء ..... للّه .....

ـ قال لي جليلو... المستكشف الجريء يوماً وأمام حشد من حاسديه... إن الشروق اليوم ..... يُشبه غروب الغد تماماً ..... سوى فرقٌ بسيط في اللون ..... فضحكوا جميعاً ..... ولا أظنهم قد فهموا ما قال .....

ـ عُجبت لأُمةٍ تُخفف آلامَ الرأس ..... بقطعه .....

ـ عجبتُ لمن تحمل نفسه جبالاً... وجسده لا يقوى على حمل نفسه....

ـ عندما ثار أكبر البراكين في سان فرانسيسكو... وقفتُ بين السُحب السوداء أراقب المشهد عن كثب... رأيتُ كل الأقوياء كيف يهربون.. ورأيت النساء والأطفال كيف يُتركون.. ورأيت الموت يختار ضحاياه وهو ثملٌ.. وعلى فجأة.. وفي بقعةٍ خالية من كل شيء حي.... رأيتُ هناك رجلاً جاوز عمره التسعين مُستلقياً على بطنه وأمامه كومة نقود.... وكان يغرفُ منها ويضع في جيوبه.. وكان ملاك الموت فوقه يقفُ

ساخراً ..... صاغراً لطمع الإنسانية.. وعندما امتلأت كل جيوبه وفمه... أمسك بحفنةٍ بكلتا يديه... عندها سقط حجرٌ ضخمٌ فوقه.. وبقيت تلك الأيدي الهرمة قابضة على حفنة النقود... لا تدري أين... تضعها.

ـ عندما اعتقلوني في عصر الجاهلية بتهمة الذم والتشهير للاتِ والعزة.. ولم أتراجع عما قلت إلا بعد أن قطعوا أرجلي وأصابع يدي وفقؤوا إحدى عيوني ..... فخافت روحي على جسدي الثمين ..... وتراجع لساني عما قال ..... ولكني عندما حرجت من البوابة السوداء ..... توعدتهم ..... أنني سأعيش قروناً بعاهتي ..... بل بعاهاتي لأستقبل المهدي المنتظر ..... وأشتكيهم إليه وجراحي له ..... عنهم دليل..

ـ من لم تُخجله نفسه ..... لن تُخجله أنفس العالم أجمع

ـ لا تفرغ كأساً ..... ملأَتها عَينُ القناعة .....

ـ في الماضي السحيق... تم فتح روما من قبل اليونان... فانتحر حزناً ملكهم الجليل... وكان له ابن وحيد لم يبلغ العاشرة من عمره... ورحل اليونان بعدها... فكان يتعين على الرعية تتويجه ملكاً عليهم... ووضعه على العرش المنصوب.. وبعد الاحتفال... رحل المجتمعين والمباركين والمتملقين... وبقي الملك الصغير وحيداً على عرشه... فنظر إلى يمينه فوجد ديكً سمين... فقال له: ماذا تفعل هنا؟... فقال: دام عز مولاي... أنا هنا لأصيح في تمام السادسة صباحاً... فتستيقظ لأُعلمك الفصاحة في لغة بلادنا ..... لأن الغربة قد أنستك بعضاً من حروفها .....

فنظـر الملـك إلى يـساره ..... فوجـد بقـرة سمينـة يكـاد ضـرعها أن يلامس الأرض الرخامية ..... فقال: وأنت ماذا تفعلين هنا؟ .....

فأجابت بخوارٍ مهذبٍ: دام عز مولاي ليحكم شرق الأرض ومغربها.. أنا هنا لأملأ كأسك حليبً طازجاً كل صباح... فتبقى معدتك مليئة.... وتقوى بصيرتك ..... وتكون رُباناً أهلاً لسفينتك ..... فصمت قليلاً ليسمع جَلبَة خلف كرسيه ..... فاستدار ..... ووجد حماراً صغيراً وقد شُكِلتْ أطرافه ببعضها ..... فقال: وأنت ..... ماذا تفعل هنا؟

فنظر إليه الحمار وقال دون تكليف: أنا مثلك أيها الطفل عندما استيقظت ..... وجدتُ نفسي هنا ولعلي لا أعرف السبب .....

ـ عندما بدأت رحلتي في الكتابة... كان يتوجب علي أن أزور الفلاّح في أرضه والعامل في مصنعه... وحتى الطفل في مهده لأتبصر في أمور حياتهم.. وكان يحدث أن أمرّ داخل بساتين الفاكهة... فأرفع بصري وأقول:

ربي أتقِ بك شر نفسي بأن لا تنظر إلى ما هو ليس ملكي فأجتاز البستان ونظري إلى السماء أو للأرض بلمحة أتبين مكان خطوتي التالية وتفصل رحلة نظري بين السماء والأرض ..... إطباقة جفن صغيرة تقيني من حمل خطيئة كبيرة.....

ـ يقول السمين ..... إني آكل أقل من العصفور حجماً

ويقول النحيف ..... إني آكل أكثر من الفيل كماً

ويقول المعتدل... إني آكل لو شئت عصفوراً..... ولو شئت آكل فيلاً

ـ كان في أحد الأيام رجل شديد التقوى... وكنت كلما قابلته كان على شيء من ذكر الله... فقلت له: إني أحسدك لأنك قادر وفي كل الأوقات على ذكر وحمد الله فقال لي بعد برهة صمت.. إنك يا بني... إذا ما شربت الماء وقلت ما أعذبه ونظرت إلى الطبيعة وقلت ما أجملها... وتأملت كل شيء حولك بإعجاب فإنك ولا شك... تقوم بذكر الله...

ـ كان أحد اللصوص يجلس في الحانة... وسط المدينة الكبرى... فلاحظ أن جيب أحد رواد هذه الحانة ممتلئة بالنقود... فأخذ ينشد بسره تدحرجي تدحرجي وعلى كفي تفرجي.... عندي جيوب لتنامي فيها وحدكِ... فسيحة... مريحة.... من القطن والصوف والحرير ..... تدحرجي... تدحرجي ..... يا أجمل الدنانير ..... وبينما كان مشغولاً بإنشاده اتجه نحو أحد حراس الحامية الملكية... فهرع وفزع وأخذ يصيح عالياً...

سرقة النقود جريمة... لكن قول الغزل فيها مباح .....

ـ عندما تموت الأشجار... تبقى واقفة... لتحكي آلاف الحكايا لغلساتها الصغار...

ـ ينطق الحكيم بدره ..... تشتري ما يقوله الثرثار ..... بسنه

ـ إن أولئك الشهداء يموتون ..... إما حباً خالصاً لأرضهم وإما تلبية لرغبات حكام أديانهم .....

ـ جلست أمام بيتي ذات صباح... وما لبثت أن أبدأ بقراءة الميثاق من الحكمة الشريفة حتى تجمهر أمامي بعض الناس وأمامهم رجل يبكي وقال:

أيها الناسك... الزاهد الكريم... قد مررت اليوم في أحد الأسواق المزدحمة ولم تستطع نفسي أن تكبح نظراتي ..... عن امرأة مرت من أمامي وأخاف أن أعاقب كما الزناة يعاقبون .....

فوقفت .....ولم أجب بشيء ..... ومشيت إلى إحدى أشجار الزيتون ومسحت بيدي قطرة ندى عن ورقة فيها ..... وعدت إليهم ونظراتي حائرة أمام نظراتهم التي تتبعني وقلت لهم:

أيها الناس... إن الإيمان والصدق في الأعمال والنوايا.... يجعلكم... جداً بسطاء وأقواكم جسداً يبدو أضعف الضعفاء ..... وإني أقول لكم:

إن رحمة اللّه واسعة ومحبته قادرة على خدمتكم من مهدكم إلى لحدكم وذلك في استغفاره وشكره وحمده ..... فإن أخطأ أحدكم وندم بصدق ..... وتراجع واستغفر وأقر بخطئه ..... فإن الملح الموجود في دموع التوبة فقط قادر على تطهير الأجساد والأرواح ..... البصر والبصائر ..... مما رأت ومما فعلت .....

ـ روى لي أحد البلداء طرفة.. يطغى عليها الحزن أكثر منه للضحك.... فبقيت صامتاً مكتفياً بهز رأسي الصغير ..... فاستشاط غضباً.... وقال:

ألم تفكر بما قلت... أراهن لو أنك فكرت قليلاً لملأت الدنيا ضحكاً فقلت له: يا أخي الآدمي... منذ أن خلقت... جعلت... في رأسي ثلاثة أدراج واحد للإيمان والتقوى وآخر للثقافة العامة والأدب وثالث للمحبة كافة.. ولم أجد أي من الأدراج يتسع للسخافة التافهة... فاعذرني وصمتي...

ــ إن الإنــسان الــذي لا ينجــب كــشجرة الزينــة الــتي لا تثمــر ..... وكلاهما حي ومن صنع الله وصورته ..... فاتعظوا أيها المتزوجون ليرحمكم ربكم .....

ـ جميل جداً ما تصنعه الأمهات في حياتهن
لكنه بدا لي دميماً أمام أقل شيء مما تصنعه أمي .....

ـ تبعت الملكة ذات يوم ..... ومعنا ثلة من الحرس والعلماء والجنود إلى قبو كبير تحت القصر.... كانت قد حولته بدورها إلى سجن وفي ذلك المساء... راق لها أن تفرج عن بعض المساجين وعندما فُتحت الأبواب الصدئة وقبل إخراج تلك الأشباح الهزيلة أمرتنا الملكة أن نبسط أكفنا... ففعلنا ببطء واستغراب ..... وفعلت هي مثلنا وصاحت: أخرجوا أيها المساجين ..... فأنتم اليوم أحرار .....؟

وبعد أن عدنا إلى القصر الكبير ..... جلست بجوارها خلسة وسألتها عن السبب الذي دعتنا فيه إلى بسط أكفنا فقالت:

لا تعطي أحدهم ولو فلساً ويدك مقبوضة لأن المعطي يأخذ العطية شاكراً ويرحل ..... وأما عن الأشياء التي تعطى ..... تظن أنك أعطيتها بغير رغبة ..... فتعود إليك بعد أن تفر منهم ..... فكيف لي أن أعطيهم أغلى الأشياء ثمناً ..... ويداي مقبوضة .....

ـ قالت لي معلمتي الفاضلة ..... عندما تضع لمساتك الأخيرة على طفلك الصغير هذا..... دعني أكون أول من يناغي وجهه البريء ..... الطفل فقلت لها: أنت من وضع أول لبنة في أهرام عقلي .....

ومن هذبت بحنانها نفسي ..... وكل ما كتبت هو من نتاج فكرك وأنا أقوم بدور الرسول له ..... فقط .....

ـ وجد شر المتسلط ..... للكشف عن معدن الصبر

ـ ولد الشيطان ..... ليدلنا على منابع الخير والرحمة .....

ـ الصديق يقاس بما يحمل في قلبه ..... لا بما يحمل في يده

ـ ارضِ والدك ..... وأفقئ عيناك

ـ عند حضور الورقة والقلم ..... دائماً ..... ترحل المفردات .....

ـ قالت لي عرَّافة..... إن اللّه كتب عليّ العُقم وعدم الإنجاب ..... فبكيت لثماني ساعات ..... راجياً أجري من ربي ..... وبعدها قررتُ أن أصنع طفلاً بنفسي ..... إذا كان اللّه لا يُريد صنعه لي .....

وبدأت أراقب اللاشيء علّي أخرج منه بقطعة لطفلي.. بحثت في خزائن المجهول وقلبتها باحثاً عن قطعة لطفلي... راقبت كل الموجودات حولي بطموح الآباء ومن كل جديد.. ومن كل غريب كنت أستلهمُ قطعة لطفلي...

وبدأ يكبر ... وأنا... أحلامي معه لحظة بلحظة... تكبر... وبعد سنوات عديدة... وقد أصبح طفلي شاباً رقيق ..... يجوب في عدة آفاق إبداعية... ثورية... خليطُ الألحان المُضطربة الصادقة سماته... ضعيفٌ.... قويٌ.... كأنه نبي... واثق كالمنتصرين غنيٌ وهو ابن المشردين ..... شكله يوحي بالفقر لكن اللؤلؤ ساكنٌ فيه ..... بيته رفٌ وعمله التقصي خلف كل جديد عن كنوز المعرفة والحقيقة.

وبدأتُ أستعين به ..... كولد بار بأبيه ..... وخاصة بعد أن ألبسته نظّارتي ذات الإطار الذهبي .....

وحدث أن مرَّ بي أحد التجار الأثرياء..... وأعجبه طفلي ..... ولما كنت فقيراً ..... قبلتُ بيعه له لضخامة المبلغ ..... وبعد فترة أتت الفكرة بعد أن ذهبت السكرة.... وقد صرفت كل المال ..... ولم يعد باستطاعتي استرجاع طفلي ..... بدأ يلفني الحنين لأجمل أيام قضيتها وحيداً أو أتتبع معظم أخبار الناس لأضمها إلى قلب طفلي .....

اليوم وبعد مضي سبع سنين... لا زلتُ أرى طفلاً كان يوماً ملكي.... يمشي ويتنزه مع كل الناس .....

الذين بدورهم اشتروه .....

ـ كم ولدَ من الأطفال .....

بعد لحظات الصفن البعيدة .....

ـ ذات مساء جلست سمكة من أحكم أسماك عصرها... على حافة الجرف المرجاني وقالت: ((مناجية ربها)) اليوم يا إلهي... أشعر بأنني قد أتممت كل علوم البحر ولم يبق شبراً إلا وقلبت زعانفي قطراته... وقد رأيت كل الأشياء التي تعيش معي في هذا الكون المائي لكن فضولي العلمي ينبئني بأن هناك وفوق سابع سماء في بحرنا وفوق أعلى الموجات وقبل بلوغ عرشك يوجد حياة لأسماك تفوقنا قُدرة بكل شيء.... وأرغب وأنا سمكتك المؤمنة الزاهدة.. أن أراها للحظة.. قبل موتي... وعند الصباح الباكر.. استجاب الله لصلاتها... فقد علقت بشباك أحد الصيادين الفقراء..

ـ في أحد الأيام كنا نجمع أوراق الزعتر البري في أحراش الصنوبر في لبنان..

وكنت أفاخر بامتلاكي أنفاً يستحسن أن يكون من أنوف صانعي العطور الفرنسية.....

وفيما نحن سائرين ..... اشتم أنفي العظيم رائحة زعتر جداً نفاذة ..... فوجهت جماعتي إلى مصدرها .....

وإذا برجل ينسلّ بين الأشجار خجلاً من جمهرتنا ووصلتُ أولاً إلى المكان الذي كان يقبع فيه.. وهززتُ رأسي.. وعدتُ إلى أصدقائي.. وقلتُ مُبرراً..

إن هذا الرجل قد تناوله في عشائه ليلة البارحة.... فاعذروني ولنعد لطريقنا الأول....

وسرتُ في المؤخرة بعد أن مسحت بيدي على أنفي العجيب... وسرعان ما تراجعت عن فكرة.... صانعي العطور .....

ـ عندما استيقظت وجدت الصباح ضيفي ..... يجلس على كرسي بجانب سريري ..... وعندما فتحت عيني سمعته يقول: إنه أجمل من الليل وأنفع لأن فيه الشمس والنور والحركة... وأغمضت عينيَّ وهو يتكلم... وعندما استفقت مرة أخرى لم أجده ..... لكني وجدت الليل ضيفي يجلس على كرسي بجانب سريري ..... وما كدت أفتح عيناي حتى سمعته يقول أنه أجمل من النهار وأنفع .....

لأن فيه القمر الساحر والنجوم المتلألئة والسكون والراحة والهدوء... فأغمضت عيني وهو لا يزال يتكلم وعندما استفقت مرة أخرى لحظته

ولوح أحدهم بالآخر تلك اللحظة التي فقط فيها.. يجتمعان معاً... فقلت بصوت عالٍ....

أنا أحب النهار.. لأن جسدي يعمل به فيكون قادراً على متابعة سيرورته..

وأحب الليل ..... لأن جسدي لا يرتاح إلا به وبسكونه.... فيكون قادراً على العمل في النهار التالي ......

فأغمضا عينيهما معاً... وتركوني

وحدي أتكلم .....

كمجنون ..... حكيم ..... ؟

وتلك هي حقيقتي الفاقعة

القادرة وحدها على إعمائي وإعمائكم ؟؟؟

سامي كامل أبو دقة

لبنان - رأس المتن